بناء الوعي الرشيد لدى النشء
من خلال بلاغة الخطاب القصصي
في شعر أحمد شوقي للأطفال

إعداد الدكتورة

غادة محمد عبد المهيمن

مدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

القاهرة – جامعة الأزهر

بناء الوعي الرشيد لدى النشء من خلال بلاغة الخطاب القصصي في شعر أحمد شوقي للأطفال

غادة محمد عبد المهيمن

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنات، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر

البريد الإليكتروني: Ghadah.Abdelmohaymen@azhar.edu.eg

الملخص:

بناء الوعي الرشيد لدى النشء من أهم قضايا الأمة وواجباتها، ولقصص الأطفال دور مهم في هذا الأمر، ومن أبرز وسائلها لتحقيق ذلك الأساليب البلاغية، وقد قدم أمير الشعراء أحمد شوقي تجربة رائدة متميزة في هذا المجال؛ حازت النجاح والشهرة، وأثرت في أجيال متعاقبة، وكانت مثالا احتذاه كثير من الأدباء، ومن أجل ذلك كله اخترت موضوع (بناء الوعي الرشيد لدى النشء من خلال بلاغة الخطاب القصصي في شعر أحمد شوقي للأطفال) للبحث والدراسة.

وقد حاول البحث من خلال المادة التي تناولها بالدراسة الكشف عن دلالات الأساليب البلاغية وتوظيفها ومسالكها لنقل المعاني والأفكار وتحريك العقول والتأثير على المشاعر للوصول إلى بناء الوعي الرشيد.

وقد اعتمد البحث على كل من المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي معا، وكان من أبرز نتائجه:

– حافظ شوقي على فصاحة عبارته؛ وقوة تأثيرها؛ ودقة دلالتها على المعنى؛ دون أن يبتعد بها كثيرا عن اللغة المستعملة التي يمكن أن يفهمها الأطفال

في مرحلتي الطفولة المتوسطة والطفولة المتأخرة ممن يمكنهم قراءة الشعر وفهم القصة بشكل عام.

- أعانت الصور البيانية المخاطب على تصور المعاني المجردة ماثلة أمامه؛ حية؛ متحركة؛ متكلمة، وسلطت الضوء على العلاقات التي قامت – الصور البيانية – على أساسها، كما ساعدت على تنشيط الأذهان للقيام بعمليات عقلية معرفية كالتذكر والتحليل والمقارنة والفهم والتفكير، وساعدت على ربط الصفات الجيدة بمشاعر وانفعالات إيجابية بعكس الصفات السيئة التي نفرت منها وكونت اتجاها عاطفيا سلبيا تجاهها.
- كان من أبرز فنون البديع التي ظهر دورها أثناء الدراسة الجناس ورد العجز على الصدر حيث لفتت الانتباه إلى ما بين الألفاظ من علاقات تفيد في كشف المعنى والوصول للهدف.

الكلمات المفتاحية: الوعي الرشيد – بلاغة – الخطاب القصصي – أحمد شوقي – شعر الأطفال.

Building Rational Awareness among the Young Generation through the Eloquence of Narrative Discourse in Ahmed Shawqi's Poetry for Children

Ghadah Mohammad Abdelmohaymen ,

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arab Studies for Female Students, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

E-mail: Ghadah.Abdelmohaymen@azhar.edu.eg

Abstract:

Building rational awareness in young people is among the most vital issues. Children's stories play an essential role in this endeavor, with rhetorical techniques being one of the most prominent tools to achieve this goal. The Prince of Poets (poet laureate), Ahmed Shawqi, presented a pioneering and distinguished experience in this field, gaining success and fame, influencing successive generations, and setting an example for many writers. These are the reasons behind choosing this topic. The research, which relied on both descriptive and deductive methods, is aimed to uncover the implications of rhetorical techniques, their use in conveying meanings and ideas, stimulating minds, and affecting emotions to build rational awareness. Here are some of the main finding: Shawqi maintained the eloquence of his expressions, the strength of their impact, and their precise indication of meaning, without straying far from commonly used language that children could understand. The figurative imagery helped the audience visualize abstract meanings vividly and

dynamically. Among the most prominent rhetorical devices that played a role in the study were puns, inversion, and chiasmus, which aided in uncovering meaning and achieving the intended goal.

Keywords: rational awareness - rhetoric - narrative discourse - Ahmed Shawqi - children’s poetry

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين؛ سيدنا محمد ﷺ؛ وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فالوعي أساس شخصية الفرد وهوية المجتمع، وهو من غايات الحضارات ووسائلها في ذات الوقت، وحقيقة بناء الوعي وتشكيله يكون مع بداية تكوين الشخصية وبناء الهوية، وذلك لأن مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية التي تتشكل فيها معارف الإنسان واتجاهاته، ففيها تزرع البذور وتغرس الجذور وتوضع الأسس، وما يأتي بعد ذلك يكون أقرب إلى التعديل والتقويم.

وبناء الوعي الرشيد لدى النشء وفق أهداف الأمة ومتطلباتها وسيلة أساسية لتوفير الأمن والاستقرار وبناء المستقبل وبقاء الدولة لأجيال وقرون ممتدة، وللقصص الهادف دور مهم في هذا الأمر، إذ يعد مدخلا يطلع من خلاله الطفل على عالم الكبار وخبراتهم وخلاصة تجاربهم، وقد حازت قصص شوقي الشعرية للأطفال شهرة كبيرة وحظيت بذيوع وانتشار واسعين مما جعلها تتخطى حدود المكان والزمان ويتربى عليها جيل بعد جيل في مختلف البلاد، كما صارت مثالا يحتذيه الشعراء وينظمون على نهجه، واتسمت ببلاغة الأساليب ودقتها وبراعة صياغتها وقوة تأثيرها، ومن أجل كل ذلك مجتمعا وقع اختياري على دراسة هذا الموضوع الذي جاء بعنوان (بناء الوعي الرشيد لدى النشء من خلال بلاغة الخطاب القصصي في شعر أحمد شوقي للأطفال).

وقد وجدت أن الإشارات والاقتباسات لن تساعد القارئ الكريم على فهم القصة وفكرتها؛ ورؤية ما بين عناصرها من علاقات وارتباطات؛ وما لها من امتدادات وتأثيرات؛ وكيف وظف أحمد شوقي كل ذلك في بناء وعي النشء فيما يتعلق بجهات ونواحي الحياة المتنوعة، كما كان من الصعب –

نظرا لضيق مقام البحث – تناول كل القصص الشعرية التي قدمها أحمد شوقي للأطفال بالشرح والتحليل؛ لذا فقد استعنت بالله وحاولت قدر المستطاع اختيار قصص تعالج أهم الجوانب التي تعد ركائز أساسية لبناء وعي الفرد والمجتمع؛ بحيث تكون متنوعة من حيث الغرض؛ وطريقة العرض؛ واستخدام الأساليب؛ وتلوين الخطاب؛ وتشكيل البدايات والنهايات، ومن ثم جاء البحث في تمهيد وثلاثة فصول، مسبوق بمقدمة، ومتبوع بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

وقد اشتملت المقدمة على تنويه عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة الدراسة، وطريقة السير فيه، والمنهج المتبع.

وعرض التمهيد – بإيجاز – العمليات العقلية التي تسهم في تكوين الوعي، وما أشار العلماء لأهمية توفره في قصص الأطفال للمساعدة في بناء الوعي من خلالها.

وعرضت المباحث لبناء الوعي الرشيد بجوانب متنوعة من الحياة من خلال بلاغة الأساليب البلاغية وتوظيفها في قصص الديوان، فتناول المبحث الأول بناء الوعي السياسي، والمبحث الثاني بناء الوعي الديني والخلقي، والمبحث الثالث بناء الوعي الاقتصادي، كل ذلك من خلال تناول قصة في كل بالشرح والتحليل؛ للكشف عن دلالات الأساليب البلاغية وتوظيفها ومسالكها لنقل المعاني والأفكار وتحريك العقول والتأثير على المشاعر للوصول إلى بناء الوعي الرشيد.

واشتملت الخاتمة على أبرز النتائج التي ظهرت خلال الدراسة.

وقد اعتمد البحث خلال هذه الرحلة على كل من المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي معا.

هذا، وأسأل الله التوفيق والسداد وإقالة العثرات، والحمد لله أولا وآخرا.

تمهيد

بناء الوعي من خلال قصص الأطفال

الوعي عملية عقلية تعتبر ذروة ومحصلة لعمليات تسبقها منها الإحساس والانتباه والإدراك والفهم والتفكير واستدعاء الخبرات السابقة من الذاكرة وما يصاحبها من مشاعر وانفعالات، فالإحساس بالمثير الخارجي أو الداخلي يتبعه الانتباه والإدراك، واستدعاء المعلومات المتعلقة به من الذاكرة وما يصاحبها من خبرات إيجابية أو سلبية وما يرتبط بها من مشاعر وانفعالات، ويتم ربط ذلك كله ومعالجته من خلال عمليات الفهم والتفكير، ومن ثم يتم دمجه في منظومة الوعي، لذا فإن بناء الوعي بشيء ما يحتاج إلى إيجاد مثير مناسب يجذب الانتباه ويستطيع المتلقي إدراكه وفهمه بطريقة صحيحة، كما يستطيع ربطه بمخزونه العقلي والعاطفي من الخبرات السابقة(١)، ولتحقيق ذلك من خلال قصص الأطفال ينبغي أن يقدم لهم ما يتناسب مع قدراتهم واستعداداتهم حتى يتمكنوا من إجراء هذه العمليات.

ولذلك رأى العلماء(٢) أن قصص الأطفال التي يمكن ان تشارك في بناء الوعي الرشيد من المهم أن تتسم بـــ:

---

(١) ينظر علم النفس المعرفي بين النظرية والتطبيق. ٧٣ وما بعدها. عدنان يوسف العتوم. دار المسيرة للنشر والتوزيع. الأردن. ط٣. بدون، التفاعل بين المكونات العاملية للوعي وعلاقتها بالذكاء وبعض العمليات المعرفية. ٦٦ وما بعدها. محمد السيد إبراهيم منصور. إشراف. عبد السلام أحمدي الشيخ. دكتوراه. جامعة طنطا. كلية الآداب. قسم علم النفس. ٢٠٠١م.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر أدب الأطفال علم وفن. أحمد نجيب. دار الفكر العربي. القاهرة – مصر. ١٩٩١م، النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته. سعد أبو الرضا. دار البشير للنشر والتوزيع. عمان – الأردن. ط١. ١٩٩٣م، أدب الأطفال فلسفته، وفنونه، ووسائطه. هادي نعمان الهيتي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٦م.

- قدر مناسب من وضوح الفكرة والعرض؛ بحيث يستطيعون إدراك الهدف الذي ترمي إليه القصة والموضوع الذي تناقشه، مع وجود قدر مناسب من الإشارات والتلميحات التي يمكنهم فهمها؛ بما يتيح لهم المشاركة الفاعلة مع القاص في الاستنتاج والتخيل، مما يعزز قدراتهم الذهنية ويجعلهم يستمتعون بالمشاركة الإيجابية
- أن تكون قادرة على جذب انتباه الأطفال وإثارة تشوقهم لمتابعة أحداثها حتى الوصول إلى نهايتها، مع تجنب الدخول في تفاصيل فرعية تجلب الملل أو تشتت الانتباه.
- أن تكون مترابطة الأجزاء والعناصر بحيث يستطيعون إدراك المعنى الكلي والصورة الذهنية التي تمثلها.
- المحافظة على حركة الأحداث وتدرج الحبكة ونموها؛ حتى يظل المخاطب مشدودا لمتابعتها، ويتمكن من فهم العلاقات؛ والروابط؛ وترتيب الأحداث؛ وتتابعها؛ واستلهام ما غاب من السرد؛ والمشاركة الفعالة في التخيل وإنتاج الدلالة.
- أن تقدم بلغة صحيحة متميزة بحيث تقترب من المستوى اللغوي للطفل دون إسفاف أو ابتذال مع البعد عن تكديس الألفاظ الصعبة أو غير الشائعة في بيئات الأطفال، فتراعي معجمه اللغوي وتزيده من المفردات ما يوسع ثروته اللغوية بحيث يستطيع فهمه بمعونة القرائن والسياق، كما يراعى أن تكون العلاقات والروابط بين الرمز والمرموز إليه واضحة يستطيع عقل الطفل إدراكها، وكذا أن تكون الصور البيانية قريبة من أفهامهم بحيث يدركون ما وراء معناها الظاهري، ويحسن أن تكون للتراكيب موسيقى (داخلية – خارجية) ليكون لها وقع محبب في نفوسهم.

المبحث الأول

بناء الوعي السياسي من خلال بلاغة الخطاب القصصي

عاش شوقي في عصر عانت فيه مصر من كثير من السياسات – الداخلية والخارجية – الخاطئة؛ التي أدت لوقوعها تحت الاحتلال البريطاني حوالي سبعين سنة، دفعت مصر ثمنها غاليا؛ من أراضيها؛ ومواردها؛ وحرية مواطنيها وحياتهم ومستقبل ذرياتهم، وقد حذر كثير من المصلحين آنذاك من آثار تلك السياسات على البلاد ومستقبلها، وطالبوا بالحد من امتيازات الأجانب وتدخلاتهم في الشؤون المصرية، ونادوا بالإصلاحات الحكومية والإدارية، وقدموا مقترحات ومشاريع لتحقيق ذلك، لكن القصر لم يكن يصغي للنصائح أو التحذيرات أو حتى للمطالبات الصريحة، لذا اتجه شوقي في قصصه إلى توعية النشء بما تعانيه بلادهم من مشكلات في هذا الجانب، وحذرهم من عواقبها، ليحملوا على عاتقهم مهمة إصلاح البلاد ونهضتها، ومن قصصه التي تعرض فيها لهذا الجانب قصة **ملك الغربان**(١)، وفيها يقول:

كانَ لِلغربانِ في العَصرِ مَليـك * وَلَهُ في النَخـــلَةِ الكُبـــرى أَريـك**

فيهِ كُرسِيٌّ وَخِدرٌ وَمُـهـــود * لِصِـغارِ المُلـكِ أَصـحابِ العُهـودِ**

جـاءَهُ يَومـاً ندورُ الخـــادِمُ * وَهوَ فـي البـابِ الأَمـينُ الحـازِمُ**

قالَ يا فَرعَ المُلوكِ الصـالِحين * أَنتَ مـا زِلـتَ تُحِـبُّ الناصِـحين**

سوسَةٌ كانَت عَلى القَصرِ تَدور * جازَت القَصرَ وَدَبَّـت فـي الجُـدور**

فَابعَـثِ الغِربانَ في إِهـــلاكِها * قَبلَ أَن نَهـــلِكَ فـي أَشـراكِهـا**

ضَحكَ السُلطانُ من هَذا المَقال * ثُمَّ أَدنى خـــادِمَ الخَيـــرِ وَقـــال**

---

(١) الشوقيات ٨٧٥. أحمد شوقي. مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم. القاهرة – مصر. بدون.

أَنا رَبُّ الشَوكَةِ الضافي الجَناح *** أَنـــا ذو المِنقـــارِ غَـــلابُ الرِيـــاح
أَنا لا أَنظُرُ في هَـــذي الأُمـــور *** أَنـــا لا أُبـــصِـــرُ تـــحتـــي يـــا ندور
ثُـــمَّ لَمّا كانَ عامٌ بَعـــدَ عـــــام *** قامَ بَـــينَ الـــريحِ وَالنَخـــلِ خِصـــام
وَإِذا النَـــخلَةُ أَقوى جِـــذعُـــها *** فَبَـــدا لِلـــريـــحِ سَـــهـــلاً قـــلعـــُهـــا
فَهَـــوَت لِلأَرضِ كَالتَلِّ الكَبيـــر *** وَهَوى الـــديوانُ وَانقَـــضَّ السَـــرير
فَدَها السُلطانَ ذا الخَطبُ المَهول *** وَدَعـــا خادِمَـــهُ الغـــالي يَقـــــول
يا ندورَ الخَيرِ أَسعِف بِالصِـــياح *** مـــا تَرى ما فَعَلَـــت فينـــا الرِيـــاح
قالَ يا مَولايَ لا تَســـأَل نـــدور *** أَنـــا لا أَنظُـــرُ فـــي هَـــذي الأُمـــور

بدأ شوقي بتمهيد قصير عن الشخصية الرئيسية في القصة ليسلط الضوء عليها وعلى الظروف المحيطة بها، فأشار لما لهذه الشخصية من مكانة وسلطة متميزة بلفظ (مليك) مع تنكيره للتعظيم في قوله: (كان للغربان في العصر مليك)، فأفاد أنه واحد عصره وصاحب الملك على كل الغربان في زمانه باستخدام (ال) التي للاستغراق في (للغربان)، و(ال) التي نابت مناب الضمير[1] في (العصر)، وفي هذا العدول ما يوحي بتميز هذا العصر عن غيره من العصور وذلك لأن الأصل في مجيء أداة التعريف (ال) الدلالة على تعين ما تدخل عليه[2]، فكأنه عصر معين لتميزه، ثم أشار لمكانة هذا

(١) "أجاز الكوفيون وبعض البصريين وكثير من المتأخرين نيابة " ال " عن الضمير المضاف إليه وخرجوا على ذلك: (فإن الجنة هي المأوى)"، معترك الأقران في إعجاز القرآن. ٥٨/٢. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. ضبطه: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. ط١. ١٩٨٨م.

(٢) ينظر الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة. ٣٥. محمد بن علي بن محمد الجرجاني. تح. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب. مصر. ١٩٩٧م.

الملك ومكانه، وبين ما له من العزة والهيبة بقوله: (وله في النخلة الكبرى أريك)، فأفاد تفخيم مكان إقامته (أريك)[١] بالتنكير، وبين تفرده به وأنه لا يشاركه فيه غيره بقصر (أريك) على أنه للملك بطريق التقديم، وتعريف (النخلة) ووصفها باسم التفضيل (الكبرى) موح بالتمكين والعزة، وأنها محط الأنظار وإليها التفات الخواطر، وتأخير (مليك، أريك) جعلهما قافيتي المصراعين – والقافية أشد مواضع البيت تلبسا بعناية النفس وانشغالها[٢]– مما سلط الضوء عليهما لما لهما من أهمية خاصة في سير الأحداث.

ثم وصف هذا المكان بما يزيده فخامة وتعظيما ويكشف عن أهميته للملك وذريته وارتباطه به وظيفيا ووجدانيا بقوله: (فيه كرسي وخدر ومهود لصغار الملك أصحاب العهود)، فكنى بذلك عن أن هذا المكان هو قصر الملك الذي منه يحكم وفيه يقيم هو وذريته الذين سيتوارثون الحكم من بعده، وهو ما يبين أهمية المكان والحفاظ عليه له وللأجيال الجديدة التي سيكون لها المستقبل.

فهذه الأساليب تتآزر مع بعضها لتكوين أساس معرفي لدى المتلقي عن هذا الملك وقصره؛ ليدرك ما لهذا المكان من مميزات وما يتمتع به الملك من إمكانيات، مما يجعله على وعي بأبعاد المشكلة وحقيقة أسبابها، فالملك كان له من السلطان والعزة ما يتيح له أن يمنع وقوع ما وقع، والنخلة في ذاتها قوية متميزة، ليست ضعيفة أو متهالكة، وإنما أضعفها وأودى بها تهاون الملك وعدم حفاظه عليها رغم أهميتها له ولنسله.

ثم بدأ يسرد المشكلة ومراحل وأسباب تطورها، فاستأنف كلاما جديدا راح يعرض في الجزء الأول منه المشكلة بقوله:

---

(١) من قولهم: " أرَكَ بالمكانِ: أقامَ"، القاموس المحيط. (أرك).

(٢) ينظر منهاج البلغاء. ٢٧٦. لأبي الحسن حازم القرطاجني. تح محمد بن الحبيب ابن الخوجة. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ١٩٨١م.

جـاءَهُ يَومـاً نـدورُ الخـادِمُ *** وَهوَ فـي البـابِ الأَمـينُ الحـازِمُ
قالَ يا فَرعَ المُلوكِ الصالِحـين *** أَنتَ مـا زِلـتَ تُحِـبُّ الناصِـحين
سوسَةٌ كانَت عَلى القَصرِ تَـدور *** جازَت القَصرَ وَدَبَّـت فـي الجُـدور
فَابعَـثِ الغِربـانَ في إِهـلاكِها *** قَبـلَ أَن نَهـلِـكَ فـي أَشـراكِهـا

شعر ندور خادم الملك بالمشكلة فهم إليها يدرسها ويفحص عنها وعن جذورها، فعرف من أين بدأت؟ وإلام وصلت؟، ووضع تصورا عن عواقبها إذا تركت واستفحلت، ففكر في طريقة لحلها، وقدم مقترحا للقضاء عليها بأسلوب اتسم بالأدب والتوقير والرصانة، وقد صاغ شوقي ذلك بأسلوب رائق سهل موجز، فنجد الفعل (جاء) الذي يأتي عادة في سياقات المشقة والمشاهدة واليقين وتحقق الوقوع والقصد والعمد(١)؛ مما يخدم تصور استقصاء الخادم للمشكلة وتتبعها قبل التقدم بها للملك، كما نجد الراوي ذكر الخادم باسمه (ندور) ليعرف السامعين به؛ وأتبعه بذكر وظيفته ليكشف عن مدى صلته بالأمر ومحدودية إمكانياته، ولذلك أيضا جاء بالجملة الاعتراضية (وهو في الباب...)، وربطها بما قبلها بالواو الاعتراضية توثيقا وتقريرا لما تضمنته من وصفه بكمال الأمانة وكمال الحزم حتى صار كأنه نموذج ومثال لهما؛ حيث عرف (الأمين ، الحازم) بـــ(ال) الجنس التي أفادت أنك لو تصورت معنى الأمانة والحزم معا حق التصور وأردت تمثلهما فعليك بهذا الشخص فستجده يمثلهما لك على خير وجه(٢)، وترك العطف بين (الأمين الحازم)

(١) ينظر الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق. ١٤٥ وما بعدها. محمد نور الدين المنجد. دار الفكر. دمشق – سورية. ط١. ١٩٩٧م.

(٢) هذا الضرب من معاني التعريف بـــ(ال) جعله الشيخ عبد القاهر الجرجاني من باب الوهم والتقدير الذي يكسب المعنى نبلا وفخامة. ينظر دلائل الإعجاز. ١٨٢ وما بعدها، تع. محمود محمد شاكر. مكتبة الأسرة. القاهرة. ٢٠٠٠م.

ليصور أمانته مع حزمه وقد امتزجا وتكاملا معا في نفسه، وذلك مما يهيأ النفوس لتلقي مقالته بالتصديق ويمهد لقبول نصيحته، كما يخليه من المسؤولية عما سيقع بعد ذلك؛ إذ لم يركن إلى ضعف مكانته، وإنما استخدم ما أتيح له من وسائل وسلك ما أتيح له من سبل، وشوقي يغرس ذلك في الأذهان ليجعله في وعي السامعين مثال خير وقدوة تحتذى.

ثم استأنف كلاما جديدا يجيب به عن التساؤلات التي تحركت في النفوس عن سبب مجيء الخادم إلى مليكه بقوله: (قال يا فرع الملوك الصالحين)، فنجد ندور ذلك الخادم الأمين يقدم لكلامه بما يستفتح به عقل وقلب الملك، فلفته إليه وإلى سماع ما سيقوله بنداء فيه تعظيم له ولأسلافه وتذكير للملك بصلاح أصله؛ ليحرك في قلبه الرغبة في الحفاظ على تراثهم ومجدهم وطيب ذكرهم، وليبين له أنه ما زال في خدمته وتحت طوعه، وفي قوله: (أنت ما زلت تحب الناصحين) تليين لقلب الملك ليقبل منه النصيحة، وليؤمن نفسه من غضبته، ولذا قدم المسند إليه للتقرير بتكرير الإسناد، وبذلك يبدو الأمر وكأنه معلومة مؤكدة فيتحرج الملك من الإتيان بما ينافيها.

وبعد أن قدم لحديثه بما يستأنس به لنفسه عند الملك استأنف كلاما وصف فيه المشكلة وحدودها بإيجاز يليق بمخاطبة الملوك، فقال: (سوسة كانت على القصر تدور جازت القصر ودبت في الجدور)، فنكر (سوسة) وأفردها للتحقير تهوينا لأمر إهلاكها، ووصفها بالجملة (كانت على القصر تدور) مشعر أن الملك كان على علم بتربص هذا العدو – السوسة – بالنخلة، لأن "حق الوصف كونه عند السامع معلوم التحقق للموصوف"[1]، واستخدام المضارع (تدور) مشعر بدأبها في ذلك؛ فهي تتحرك على النخلة من كل جهة ويتجدد منها هذا السعي آنا فآن، وفي كلمة (القصر) تورية حيث يظن السامع لأول وهلة أنه يقصد مكان إقامة الملك ثم يتبين له بعد ذلك أنه يريد أصل

(١) مفتاح العلوم. ١٨٨. يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي. تع. نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. ط٢. ١٩٨٧م.

النخلة وجذعها[١]، فيرتبط المعنيان في الأذهان؛ مما يبين أهمية الحفاظ على سلامة النخلة كلها ودفع هذا الخطر عنها، ثم جاء المسند ليخبر عن هذه السوسة بما جد من أمرها مما لا يعلمه الملك بقوله: (جازت القصر ودبت في الجدور[٢])، بمعنى أنها اجتازت المنع من الدخول وصارت تمشي مشيا خفيفا خفيا في الجدران[٣]، وبذلك يكون قد استعمل التورية مرة أخرى في كلمة (القصر) الثانية مع مجانستها للأولى، وكذلك جانس بين (تدور، جدور) مع ما تولد من الجناس بين الكلمتين من رد العجز على الصدر، وكأنما أراد الخادم أن يوثق الروابط بين كلمات عبارته ويقوي داعي حفظها بما أودعه فيها من نغم حتى تظل عالقة في الأذهان إلى أن تحل المشكلة.

ومن باب الإيجابية وتقديم ما بالوسع لم يقف الخادم عند عرض المشكلة ولم يكتف بتصديرها للملك، وإنما بادر بطرح حل جذري قاطع لها، حتى إنه لم ينتظر سؤال الملك عن ذلك ولم يلق له بالا، فقال: (فابعث الغربان في إهلاكها)، فالعطف بالفاء مشعر أنه لم يتوقع من الملك سؤالا يجيب عليه بجملة مستأنفة؛ مما يوحي لمن يتخيل الموقف أن الخادم لما نظر في وجه الملك لم يلق في عينيه نظرة المتسائل واهتمامه، وقد طلب منه على سبيل النصح والإرشاد أن يجيش الغربان ويبعثهم ليهلكوا هذه السوسة ليتخلصوا من شرها، وحذره من سوء العاقبة إن تركت في إشارة لطيفة بقوله: (قبل أن نهلك في أشراكها)، ففي الظاهر جعل بعث الغربان إجراء احترازيا وضربة

---

(١) ورد عن سعيد بن جبير والضحاك القصر أصول النخل والشجر العظام. ينظر معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي. ١٩٧/٥. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي. تح. عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط١. ١٤٢٠هـ.

(٢) جدور: جمع (جدر) وهو أصل الجدار، ينظر لسان العرب. (جدر).

(٣) ذكر الراغب الأصفهاني أن الدبيب مشي خفيف وقد لا تدركه الحاسة، ينظر المفردات في غريب القرآن. ٣٠٦. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. تح. صفوان عدنان الداودي. دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت. ١٤١٢هـ.

استباقية، لكنه في الحقيقة يحذر الملك ويبصره بالمآل والعاقبة إن تهاون في أمر هذه السوسة ولم يقطع دابرها من مملكته، ونلحظ استخدام الجمع أكثر من مرة، ففي (الغربان) أفاد مع (ال) الاستغراقية جدية الأمر وأهمية الحشد لئلا يُتهاون في الأمر فيستفحل، وفي (نهلك) علق مسؤولية أفراد المجتمع كلهم في رقبة الملك؛ فليس أمرا شخصيا يملك رفاهية التهاون فيه، وفي (أشراكها) أفاد أن هذا العدو لا يني عن الكيد ونصب الحبائل لهم حتى صار الأمر إما هلاكهم وإما هلاكه.

هنا يدور في النفوس سؤال عن رد فعل الملك والموقف الذي اتخذه من نصيحة الخادم والعدو المهدد لملكه، فاستأنف القاص كلاما جديدا يجيب به عن هذه التساؤلات بقوله:

ضَحكَ السُلطانُ من هَذا المَقال * ثُـمَّ أَدنى خـادِمَ الخَيـرِ وَقـال**

أَنا رَبُّ الشَوكَةِ الضافي الجَناح * أَنـا ذو المِنقـارِ غَلّـابُ الرِيـاح**

أَنا لا أَنظُرُ في هَذي الأُمـور * أَنـا لا أُبـصِـرُ تـحتـي يـا ندور**

فبالرغم من أن كلام الخادم اتسم بالتوقير والرصانة وأنه يتضمن مشكلة مصيرية إلا أن الملك قابل ذلك بالسخرية[1] والتعالي، مما شكل مفارقة عجيبة بالتقابل الاعتباري بين موقفي الشخصيتين، ومما يبرز ذلك ما يلحق بالطباق بين (سلطان، خادم)، وما في لفظ (سلطان) من تذكير السامع بما في يد الملك من سلطة تخول له القضاء على المشكلة من جذورها، لكنه اكتفى بالسخرية من المقال الذي سمعه، فالمشكلة عنده لم تتجاوز كونها مقالا طرق أذنيه ولم يتجاوزهما، مما يشعر بسطحية نظرته للأمور وضحالة تفكيره؛ خاصة مع الإشارة للمقال بـ(هذا) الذي للقريب، وعلى عكس حزم الخادم نجد تهاون الملك وتراخيه وبطء رد فعله؛ فالعطف بـ(ثم) في قوله: (ثم أدنى خادم الخير

(١) ضحك منه: سخر منه. ينظر المصباح المنير. (ضحك).

وقال) أشعر بامتداد زمن ما قبله وكثافته[١]؛ بمعنى كثافة سخرية الملك واستغراقها بعض الوقت قبل أن يلتفت إلى خادمه ويبدأ الحديث معه، وهو ما لا يتفق مع ما يجب أن يلتزم به السلطان من الاحتراز لوقاره وهيبته، ومما يقوي داعي المقارنة بين الموقفين (موقف الخادم وموقف السلطان) رد العجز على الصدر في (مقال، قال) الذي جعل الأذهان تقارن بين المقالين ليتجلى أمامها ما في كلام الخادم من موضوعية وحرص على المصلحة العامة وما في كلام الملك من ذاتية وعدم تحمل للمسؤولية.

ومما يبين ذاتية الملك أن حديثه انصب على ذاته ولم يذكر المشكلة الأساسية إلا عرضا، كما يلحظ أنه فصل بين جمله التي ذكر فيها مفاخره على سبيل التعديد لها، وكرر ضمير المتكلم الظاهر (أنا) في بداية جمله أربع مرات؛ بالإضافة إلى ضمائر التكلم المستترة التي وردت في أثنائها، واستعمل أسلوب الكناية مبالغة في إظهار عظم قوته وإرساء لها في النفوس بالبينة والدليل، كذلك نلحظ مبالغته في اختيار الألفاظ والتراكيب، ففي قوله: (رب الشوكة) تجده اختار لفظ رب ليشعر بالملك والسيادة، واستعمل الشوكة مجازا عن السلاح[٢] أو البأس[٣] وعرفها بـــ(ال) الجنس، فكأن جنس الشوكة تحت

(١) ذكر د.محمد أمين الخضري أن (ثم) قد تأتي "لمطل زمن الفعل قبلها، وتكثيف حدثه". من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء، ثم". ١٦٨. محمد أمين الخضري. مكتبة وهبة. مصر. ط١. ١٩٩٣م.

(٢) ذكر الرماني أن لفظ الشوكة في قوله تعالى: {وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم} (الأنفال. ٧) "مستعار، وهو أبلغ، وحقيقته السلاح ، فذكر الحد الذي به تقع المخافة واعتمد على الإيماء إلى النكتة، وإذا كان السلاح ما له حد وما ليس له حد ، فشوكة السلاح هي التي تبقى."، وتوجيهه هذا أقرب عندي للمجاز المرسل لعلاقة الجزئية على ما أظن. النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]. ٨٩. علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني المعتزلي. تح. محمد خلف الله، محمد زغلول سلام. دار المعارف – مصر. ط٣. ١٩٧٦م.

(٣) ذكر ابن عاشور أنه قد شاع استعارة الشوكة للبأس، ينظر التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». ٢٧٠/٩. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. الدار التونسية للنشر. تونس. ١٩٨٤م.

سيادته، وأضاف الصفة للموصوف في قوله: (الضافي الجناح) للإشعار بشدة الملابسة بينهما، وترك العطف بين الخبرين[1] ليبدو معنياهما وقد امتزجا معا وخرجت منهما صفة قوة متميزة، وجاء الشطر الثاني (أنا ذو المنقار غلاب الرياح) متوافق التأليف والترتيب مع الشطر الأول، فالمنقار للطائر سلاح فناسب (الشوكة)، كما ناسب بين ذكر (الجناح والرياح) وحذف صفة المنقار تفخيما ليذهب فيها الخيال كل مذهب، واستخدم صيغة المبالغة في (غلاب) وجمع (الرياح) للتهويل والتفخيم أيضا، ففي البيت لف ونشر مرتب يبرز اهتمام المتكلم بالمعنى وتقريره.

ومع حديث الملك عن القوة والسيادة والغلبة كان المتوقع أن يتحدث عن ما سيتخذه من إجراءات لحل المشكلة لكنه أتى بعكس ذلك، فنفى حتى مجرد النظر فيها، ونفى أن يتجه ببصره لما هو تحته تأكيدا لموقفه، فقد اعتبر نفسه أعظم من النظر في هذه الأمور، يظهر ذلك من استخدامه ضمير التكلم غرورا واسم الإشارة تحقيرا في قوله: (أنا لا أنظر في هذي الأمور)، ومع كون قوله: (أنا لا أبصر تحتي) حقيقة لكون السوسة بالفعل تحته؛ لكنه أيضا يؤكد معنى تقليله المشكلة واحتقارها وترفعه عن التدخل لحلها.

هكذا قطع الملك على الخادم وعلى غيره محاولة تدارك الأمر، فتركت المشكلة دون حل، وتركت السوسة وشأنها في النخلة، ومر على ذلك زمن إلى أن وقع ما حذر منه الخادم، يقول شوقي:

---

(١) اختلف في جواز تعدد الخبر لمبتدأ واحد إذا كان بغير عاطف على أقوال أحدها – وهو ما عليه الجمهور – الجواز كما في النعوت، والقول الثاني المنع، وعلى هذا فما ورد من ذلك جعل فيه الأول خبرا والباقي صفة للخبر، ومنهم من يجعله خبر مبتدأ مقدر، والقول الثالث الجواز إن اتحدا في الإفراد والجملة، والمنع إن كان أحدهما مفردا والآخر جملة، والرابع قصر الجواز على ما كان المعنى منهما واحدا نحو الرمان حلو حامض. ينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ٤٠١/١ وما بعدها. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تح. عبد الحميد هنداوي. المكتبة التوفيقية – مصر. بدون.

ثُــمَّ لَمّا كانَ عامٌ بَعــدَ عــام * قامَ بَينَ الريحِ وَالنَخلِ خِصــام**

وَإِذا النَخلَةُ أَقوى جِــذعُــها * فَبَدا لِلــريحِ سَــهــلاً قلعُهــا**

فَهَــوَت لِأَرضِ كَالتَلِّ الكَبيــر * وَهَوى الديوانُ وَانقَضَّ السَرير**

يبين شوقي الغفلة التي صاروا فيها، فالكناية عن مرور زمن غير معلوم في قوله: (ثم لما كان عام بعد عام) توحي بتجاهل الكل للأمر حتى لم يدركوا عدد الأعوام التي مرت رغم أنها لم تكن فترة قصيرة، يدل على ذلك استخدام (ثم)، وجواب (لما) الحينية[1] هنا هو مجموع الجمل التي صورت وقوع الكارثة التي حلت بهم، وترتب هذه الكارثة على مرور الأعوام ليس لفعل الزمن في نفسه وإنما هو مرتب على فعل السوسة في النخلة أثناء هذا الزمن، فجملة (قام بين الريح والنخل خصام) وما عطف عليها تصوِّر نتيجة إهمال المشكلة وتفاقمها بمرور الوقت، ونجد القاص هنا يجمع النخل – وهو الطرف الذي يتوقع وقوف ملك الغربان معه – ويفرد (الريح)، وفي ذلك إيماء إلى نقض إخبار الملك عن نفسه سابقا بأنه (غلاب الرياح) بالجمع، كما أن فيه إشارة لضعف النخلة الكبرى التي سقطت من بين النخل ببعض الريح، وقد

(١) سماها المرادي (لما التعليقية) وقال عنها: "هي حرف وجوب لوجوب. وبعضهم يقول: حرف وجود لوجود، بالدال. والمعنى قريب. وفيها مذهبان: أحدهما: أنها حرف. وهو مذهب سيبويه. والثاني: ظرف بمعنى حين. وهو مذهب أبي علي الفارسي. وجمع ابن مالك في التسهيل بين المذهبين، فقال: إذا ولي لما فعل ماض لفظا ومعنى فهي ظرف بمعنى إذ، فيه معنى الشرط، أو حرف يقتضي، فيما مضى، وجوبا لوجوب". الجنى الداني في حروف المعاني. ٥٩٤. أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي. تح. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. ط١. ١٩٩٢م، شرح تسهيل الفوائد. ١٠١/٤. محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله جمال الدين. تح. عبد الرحمن السيد – محمد بدوي المختون. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. مصر. ط١. ١٩٩٠م.

فصل شوقي ذلك في ثلاث جمل (وإذا النخلة أقوى جذعها، فبدا للريح سهلا قلعها، فهوت للأرض كالتل الكبير) لأهمية هذا الحدث، ومجيء (إذا) الفجائية هنا يشعر بشدة غفلتهم عما كان يحدث لنخلتهم، فأن يأكل السوس جذع النخلة حتى يفرغه أمر استمر لأعوام كما بينه سابقا، ولا يحتمل أن يكون مفاجأة إلا مع شدة الاستهتار والغفلة، وتركيب الجملة يوحي بعظم الضرر الذي وقع، فقد أسند (أقوى) إلى (جذعها) لأنه محل الضرر الأصلي، ثم أسند هذه الجملة إلى (النخلة) كلها، وبذلك وقعت (النخلة) بعد (إذا) الفجائية مباشرة؛ وصارت هي المحدث عنه الرئيس في الجملة؛ مما يجعل السامع يتصور الضرر لاحقا بها كلها.

وضعف النخلة ترتب عليه أن صار قلعها سهلا للريح، فقلعتها، فالفاء في (فبدا) للسببية، أما الفاء في (فهوت) فهي الفاء الفصيحة[1] دلت على محذوف قبلها، فقد حذفت جملة (فقلعتها) للإشعار بأن ذلك كان سريعا يسيرا، لم يحتج لوقت أو جهد، وذلك رغم عظم حجمها الذي صوره بالتشبيه بالتل مقيدا بالوصف (الكبير) في قوله: (فهوت للأرض كالتل الكبير)، وكرر الفعل (هوى) لتسليط الضوء على مصيبة الملك في قوله: (وهوى الديوان وانقض السرير).

ثم انتقل شوقي إلى رواية أثر ذلك على الملك ورد فعله فقال:

فَدَها السُلطانَ ذا الخَطبُ المَهول * وَدَعا خادِمَهُ الغــالي يَقــول**

يا ندورَ الخَيرِ أَسعِف بِالصِــياح * ما تَرى ما فَعَلَت فينا الرِياح**

قالَ يا مَولايَ لا تَســأَل نــدور * أَنا لا أَنظُرُ في هَذي الأُمــور**

---

(١) وهذه الفاء تسمى (الفاء الفصيحة) "إما لإفصاحها عن محذوف، وإما وصف لها بوصف صاحبها، وإما لكونها مفيدة معنى بديعا، وواقعة موقعا حسنا". المصباح في شرح المفتاح. ٤٦٢/٢. السيد الشريف الجرجاني. تح. فريد بدوي النكلاوي. رسالة دكتوراه ــ جامعة الأزهر. ١٩٧٧م.

فاستخدم كلمة (السلطان) هنا أيضا ليذكر بما كان له من سلطة لم يستخدمها لصالح ملكه، وذلك مع تعاضد توظيف اسم الإشارة مع دلالة كلمة (الخطب) مع نعته بـــ(المهول) لتصوير عظم المصيبة التي وقعت، كما نجد الجناس بين (دها – دعا) مع العطف بين جملتيهما بالواو يشعر بقوة ارتباطهما وتقارنهما، هذا إلى جانب ما بلحق بالطباق بين (السلطان – خادمه)، ووصف الخادم بـــ(الغالي) هنا تهكم من القاص بالملك وتحول حاله، وجاءت جملة الحال المضارعية (يقول ...) تصور لهفته، فقوله مقترن مع دعوته الخادم لا ينتظر إجابة الخادم قبل أن يتكلم، فهذا ملك هش؛ ما إن أصابته مصيبة بسبب إهماله حتى نسي سلطته وقوته التي كان يفخر بها؛ وراح يستنجد بخادمه الذي سخر من مقاله سابقا.

وجاء كلام الملك يعبر عن غلبة الانفعال عليه حتى طار صوابه، فعلى خلاف طريقته السابقة يبدأ الكلام بنداء الخادم وهو ما يشعر بافتقاده له، إما حسا لوجود حالة من الهرج بعد سقوط النخلة بما عليها، وإما نفسيا باحتياجه لدعمه ونصحه، وإما لكليهما معا، وأضاف الموصوف إلى صفته في قوله: (يا ندور الخير) إبرازا لشدة الملابسة تزلفا له بعد أن ضاع ملكه، وهو ما يشير إلى أثر تغير الأحوال عليه، والأمر في قوله: (أسعف بالصياح) للاستغاثة والاستنجاد؛ لكن أي شيء سيساعده ويسعفه به الصياح بعد ما كان؟!، والاستفهام في قوله: (ما ترى ما فعلت فينا الرياح؟) للشكوى والتوجع، واستخدم الجمع (الرياح) وكأنه لا يريد أن يصدق أن ما حدث كان من عدو منفرد أو ضعيف، ورد العجز على الصدر المتولد من الجناس بين (صياح – رياح) يجعل العقل يوازن بين رؤيته لعدوه والسلاح الذي يريد أن يستخدمه لمواجهته.

وإجابة عن التساؤلات المفترضة عن رد فعل (ندور) استأنف شوقي الكلام بقوله: (قال يا مولاي لا تسأل ندور)، فحافظ على أدبه مع الملك رغم

الشدة التي يمر بها وخاطبه خطاب الملوك؛ مما يشير إلى خلوص قلبه من الشماتة بلحاق هذه الشدة به لعدم العمل بنصيحته، واستخدم الاسم الظاهر حتى يبدو وكأنه ينهاه عن سؤال شخص غيره تأدبا معه أيضا، واستعمل عبارة الملك التي قالها له سابقا (أنا لا أنظر في هذي الأمور) لكن في هذه المرة جاء الضمير تواضعا – ولذا التفت من الغيبة إلى التكلم – واسم الإشارة تعظيما على العكس مما ورد في كلام الملك.

وبهذه المفارقة ختم قصته بما يعيد للأذهان موقف الملك من نصيحة الخادم، ثم ما ترتب على ذلك، فربط نهاية القصة بأولها، وأكد على علاقات التراتب والسببية في الأذهان، وجعل العقول تعي فكرة تدارك المشكلة من بدايتها قبل الوصول إلى المراحل التي لا يمكن الإصلاح فيها.

والقصة كلها تلفت إلى أهمية الوعي السياسي لدى كل أفراد المجتمع وعلى رأسهم السلطة التي تدير الأمور، وضرورة الحزم والإيجابية في مواجهة المشاكل مهما صغرت، كما تشير إلى أهمية تكاتف المجتمع كله ضد أي خطر يهدده.

المبحث الثاني

بناء الوعي الديني والخلقي من خلال بلاغة الخطاب القصصي

بناء الوعي الديني له نواح عديدة، منها ما يمس العقيدة ومبادئها، ومنها ما يتعلق بقواعد التشريع وأصوله، ومنها ما يتصل بسيرة النبي ﷺ وأصحابه وتابعيه من الصالحين ﷺ، ولم يقف شوقي أمام هذه النواحي في خطابه القصصي للنشء، وإنما اتجه إلى السلوكيات التي تتعلق بتطبيق مبادئ الدين في الحياة وآثارها على الفرد والمجتمع، فجسد لهم معانيها المجردة من خلال شخصيات قصصه ليقربها من أفهامهم، وكان من بين القصص التي عالجت هذا الهدف قصة **الثعلب والديك**(١) التي لفتت إلى أهمية أن يتفق المخبر مع المظهر الخارجي، وضرورة أخذ الحيطة من الرياء بالدين والنفاق باسمه، والحذر من اتخاذه وسيلة لأغراض دنيوية قد تتنافى مع أهدافه السامية، وحذر من عاقبة الانخداع بذلك على الفرد والمجتمع. يقول شوقي:

بَـرَزَ الثَّـعـلَـبُ يَـومـاً * فـي شِعـارِ الواعِـظينـا**
فَمَشى في الأَرضِ يَهـذي * وَيَـسُـبُّ الـماكِـرينـا(٢)**
وَيَـقـولُ الـحَمـدُ لـلـ * ـهِ إِلَـهِ العـالَمينا**
يـا عِـبـادَ اللَـهِ توبـوا * فَـهـوَ كَهـفُ التـائِبـينا**
وَاِزهَدوا في الطَيرِ إِنَّ الـ * ـعَيـشَ عَـيشُ الزاهِـدينا**
وَاطـلُـبـوا الـديكَ يُـؤَذِّن * لِـصَـلاةِ الصُبـحِ فـينـا**
فَأَتـى الديـكَ رَسـولٌ * مِـن إِمـامِ النـاسِكِينـا**

---

(١) الشوقيات. ٨٨٤.

(٢) ورد البيت في ديوان الشوقيات بـ(يهذي)، وأظنه خطأ مطبعيا والصحيح (يهدي)، فهو الأوفق لما قبله وما بعده.

عَـرَضَ الأَمـــرَ عَلَيـــهِ *** وَهـوَ يَـرجـو أَن يـَلينـا
فَأَجـابَ الـديـكُ عُـذراً *** يـا أَضَـلَّ الـمُـهتَـدينـا
بَلِّـــغِ الثَعـلَـــبَ عَنّـــي *** عَن جـدودي الصالِحـينـا
عَـن ذَوي التيـجانِ مِمَّـن *** دَخَـلَ البَطـــنَ اللَعـينـــا
أَنَّـهُم قالـوا وَخَيـرُ الـــ *** قَـولِ قَـــولُ العـارِفينـــا
مُخطِئٌ مَن ظَـــنَّ يَومـــاً *** أَنَّ لِلـثَـعـلَـبِ دينـــا

بدأ شوقي قصته بعرض الأحداث مباشرة فقال: (برز الثعلب) فاستخدم الفعل برز بدلا من ظهر أو بدا مثلا لأن فيه مع معناهما معانى الانفراد والجهارة[1]، فهو في هذا المظهر متفرد مجاهر بغير ما يعتاد منه ومن جنسه، ثم أكمل جملته على امتداد البيت الأول وترك مجالا لظهور الشخصية التي تعد محرك الأحداث الرئيس، مستغلا المفارقة بين المعروف من رمزية الثعلب للمكر والخداع وكونه هنا في شعار الواعظين لإثارة اهتمام المخاطب وجذب انتباهه وفي ذلك تحفيز للعمليات العقلية التي يحتاجها بناء الوعي.

ويبدو أن القاص أراد أن يصوغ أسلوبه من البداية بحيث يشكك المخاطب في حقيقة الثعلب ويومئ إلى خداعه، فقوله: (يوما) بالإفراد والتنكير يوحي بأن أحداث القصة وقعت في يوم منكور غير معلوم، لم يسبق بمثيل ولم يلحق بشبيه، وليس له علامة تميزه، وأشار إلى اتخاذ الثعلب هيئة حسية ليست له حقيقة بقوله: (في شعار الواعظينا)، بما تحمله كلمة (شعار) من الدلالة على العلامة الخاصة بقوم أو جماعة[2]، فكأنه اتخذها ليدل على تشبهه بأصحابها مع أنها في الحقيقة ليست له كما يفعل المنافقون الذين يتزيون بزي أهل الدين

(١) ينظر مقاييس اللغة. (برز).
(٢) ينظر لسان العرب. (شعر).

والتقى بلا علم ولا عمل، وبذلك بذر الراوي في العقول من البداية التشكيك في الشخصية وفكرة احتمال اختلاف المظهر عن الجوهر(١)، ثم قال:

فَمَشى في الأَرضِ يَهـــدي * وَيَـسُـــبُّ الـماكِـرينـــا**

فاستخدم الفاء التي للتعقيب تماشيا مع المعروف من سرعة الثعلب وخفته، وبيانا لإسراع الشخصية نحو قصدها، ولأن من شأن المحتال الإسراع لئلا يترك لمن حوله فرصة تأمل حاله وفضح أمره، ثم أعرب عن حال الثعلب التي انتحلها للتأثير على ضحاياه وخداعهم فاستخدم جملة الحال: (يهدي) وما شرك معها بالعطف في قوله: (ويسب الماكرينا – ويقول...) ليرسم صورة ذلك الواعظ المزيف ويحضرها ماثلة متحركة متكلمة أمام المتلقي باستخدام الأفعال المضارعة، ليكون أفعل في إشعاره بالغرابة والدهشة، فيحرك في نفسه التشكك فيما يفعله الثعلب ويقوله، وأيد ذلك بحذف مفعول (يهدي) وكأنه وقف بالمفاجأة عند إثبات هذا الفعل للثعلب دون أن يلتفت إلى من وقع عليه أو تأثر به، وكأن النفس تمانع تصديق ذلك، وزاد صورته هذه غرابة بإيقاع السب من الثعلب على الماكرين وهو منهم، مع ما يلحق بالطباق بين (يهدي – يسب)؛ فهذه المثيرات تستفز عمليات التفكير والتأمل فتجعل المخاطب يضاهيها مع المركوز في الوعي والذاكرة من الخبرات السابقة، وبذلك سلط الضوء على أفعال الثعلب وأحواله لأهميتها في تحريك الأحداث، وكونها محل المفارقة القصصية لخروجها عن مألوف الشخصية.

وبعد أن هيأ شوقي العقول بوصف أفعال الثعلب إجمالا ذكر كلامه الذي دار به بين الخلق فقال:

---

(١) وإنما اكتفى بالإشارة والتلميح للتشكيك فيما يقوم به الثعلب ليحفز التفكير ويكون بناء الوعي على أساس من الاستنتاج المستمد من النظر في الأدلة، وليشير إلى أهمية دور العقل في التفريق بين المخادع والتائب الحقيقي، فلا يغلق باب الترحيب بالتائبين وأهل الدين الصادقين.

وَيَـقـولُ الـحَمـدُ لـلـلـ *** ـهِ إِلَـهِ العـالَمينا
يـا عِـبـادَ اللَـهِ توبـوا *** فَـهـوَ كَهـفُ التـائِبـينا
وَازهَدوا في الطَيرِ إِنَّ الـ *** ـعَيـشَ عَـيشُ الزاهِـدينا
وَاطـلُـبـوا الـديكَ يُـؤَذِّن *** لِـصَـلاةِ الصُبـحِ فـينـا

فالثعلب بدأ كلامه بالحمد لا بالبسملة، مما يشير إلى ما ينطوي عليه صدره من غدر وخداع[1]، فهذا من الإشارات التي وضعها القاص ليوقظ بها عقل وإدراك المخاطب ويحفز لديه الشعور بالخطر والتنبه للمكر، مما يجعل وعيه مستمدا من داخله كما هو من خارجه، وينمي لديه موهبة الحدس ومهارات التفكير.

وقول الثعلب: (الحمد لله إله العالمينا) يكشف جهله؛ حيث كان الأولى به في هذا المقام الاستفادة من الاقتباس من النص القرآني وتأثير قداسته على النفوس، فلو كان قال (رب) بدلا من (إله) لكان وفق لاقتباس قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين)[2].

---

(١) قيل في أسباب عدم افتتاح سورة التوبة بالبسملة أن البسملة رحمة وأمان، وبراءة نزلت بالسيف والقتال ونقض العهود؛ فلذا لم تكتب فيها، (ينظر العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير. ٢٤٠/٥. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي. تح. خالد بن عثمان السبت. دار عطاءات العلم – الرياض. ط٥. ٢٠١٩م.)، وقد سار العرب على ذلك ولذا لم يبدأ زياد بن أبيه خطبته البتراء بالبسملة، (يراجع نص الخطبة في كتاب البيان والتبيين. ٤٠/٢ وما بعدها. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. دار الهلال. بيروت. ١٤٢٣هـ).

(٢) الفاتحة. ٢. وعن هذا يقول د.فاضل السامرائي: "الرب: المالك، والسيد، والمربي والقيم، والمنعم، ورب العالمين: مالكهم وسيدهم، ومربيهم، والمنعم عليهم. ومالك الشخص وسيده، ومربيه والقيم المنعم عليه أحق بالحمد وأولى به من غيره "، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي. دار عمار للنشر والتوزيع. عمان – الأردن. ط٣، ٢٠٠٣م.

كما نلحظ توالي الأساليب الإنشائية الطلبية في كلام الثعلب لتعبر عما يخالج نفسه من استعلاء يحركه للطلب المتتابع، وكأنه وإن ترك سلطة المفترس إنما استبدلها بالسلطة الدينية، لكنه يدرك أن السلطة الدينية ليست مطلقة؛ وإنما تحتاج أيضا للتأثير على متبعيها وإقناعهم، لذا أتبع كل طلب بالتعليل له، بيد أن تعليلاته هذه عكست اضطراب الفكرة في ذهنه وعدم وضوحها؛ مما ينبئ عن أنها ليست نتيجة فهم صادق وخبرة حقيقية، كما يوحي بزيف ما ادعاه من الإيمان والتقوى، فهو يطلب من العباد التوبة بقوله: (يا عباد الله توبوا)، ويعلل ذلك بـــ(فهو كهف التائبينا)، وتشبيه الذات العلية على هذا النحو لا يليق ولا يصح، وهو ما يحسب سقطة أخرى في كلام الثعلب تنبئ عن حقيقة أمره وتنبه على خداعه، وكان الأولى به ذكر عاقبة التوبة وحسن المثوبة عليها، وما يترتب عليها من تجنب العقاب، وحب الله للتوبة والتائبين.

ثم أمر بالزهد في الطير خاصة بقوله: (وازهدوا في الطير)، ليطمئن الديك ويرسل له رسالة أمان يستدرجه بها، لكنه فضح سوء نواياه لأن الزهد لا يتعلق بشيء دون شيء، كما أن عمومية الدعوة في قوله: (يا عباد الله) لا تتفق مع تقييده الزهد بأن يكون في الطير تحديدا، وعلل ذلك الطلب العجيب بقوله: (إن العيش عيش الزاهدينا)، حيث جاء بالاستئناف البياني مبدوءا بـــ(إن) وكأنه لاحظ من المخاطبين التعجب من طلبه والشك فيه فبادرهم بالإجابة المؤكدة ليقتلع ما في نفوسهم من الشك والتردد، أو ليبين لهم تغير نظرته للحياة وعدوله عما كان عليه سابقا إلى ما لم يكن يظن أنه سيعتقده ويأخذ به، يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن مواضع دخول (إن): " واعلم أنها قد تدخل للدلالة على أن الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان أنه لا يكون. وذلك قولك للشيء هو بمرأى من المخاطب ومسمع: "إنه كان من الأمر ما ترى، وكان مني إلى فلان إحسان ومعروف، ثم إنه

جعل جزائي ما رأيت"، فتجعلك كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت، وتبين الخطأ الذي توهمت."[١]، والاستئناف هنا يدل على إجابة السؤال المقدر وليس هو الإجابة لأن تقدير السؤال ينبغي أن يكون عن السبب في طلب الزهد في الطير خاصة، لأنه محل التعجب والغرابة المثيرة للسؤال، ولذا بادرهم الثعلب بهذا الاستئناف إسكاتا لهم؛ حتى لا يترك لهم فرصة للسؤال ليكمل حيلته دون أن ينقطع كلامه بما يفسدها[٢].

ثم طلب من المخاطبين أن يتوسطوا بينه وبين الديك ليقوم بالأذان لصلاة الصبح بقوله: (واطلبوا الديك يؤذن)، وكأنه يشهدهم على صلاحه ويمارس بهم نوعا من الضغط الجماهيري لإحراج الديك الذي لا يستطيع الثعلب مواجهته مباشرة بهذا الطلب، واختيار (صلاة الصبح) لما يعرف من صياح الديك فجرا تماشيا مع المشهور عن الشخصية، ولخصوصية ثواب أداء هذه الصلاة[٣]، ولأنها تكون وما زالت العتمة، مما يساعده على غدرته التي يريدها.

---

(١) دلائل الإعجاز. ٣٢٧.

(٢) ذكر البلاغيون من النكات البلاغية للاستئناف البياني إغناء السامع عن أن يسأل أو لئلا ينقطع كلام المتكلم بكلامه. المطول في شرح تلخيص المفتاح. ٢٥٨. سعد الدين التفتازاني. وبهامشه حاشية المير سيد شريف. المكتبة الأزهرية للتراث. القاهرة. ٢٠١٣م.

(٣) كما في قوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}(الإسراء:٧٨)، وقول الرسول ﷺ (لن يلج النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)، يعني صلاتي الفجر والعصر، وقوله أيضا: (من صلى البردين دخل الجنة)، أي من صلى صلاة الفجر والعصر. لأنهما في بردي النهار، أي طرفيه، حين يطيب الهواء وتذهب سورة الحر، صحيح مسلم. ١/٤٤٠. كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تح. محمد فؤاد عبد الباقي. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة. ١٩٥٥م.

ثم انتقل إلى الحدث التالي بقوله:

فَأَتَـــى الديـــكَ رَســـولٌ * مِـن إِمـــامِ النـــاسِكينـــا**

عَـرَضَ الأَمـــرَ عَلَيـــهِ * وَهـوَ يَـرجـو أَن يـلَينـا**

فأشار إلى تأثر البعض بكلام الثعلب وانضوائه إليه وتحمسه له، ومن ثم إسراعه لتنفيذ مطلوب الثعلب، فالفاء دالة على حذف طوى به القاص بعض الأحداث ليترك للمتلقي فرصة المشاركة بخياله في فهم تدرج الأحداث وسيرورتها وكأنه يشارك القاص بناء قصته، وبذلك يكون مشاركا إيجابيا في عملية بناء الوعي، كما أن في هذا الحذف تسريع للسرد يحافظ على انتباه المتلقي حتى لا يتشتت بذكر ما يمكن له أن يستنتجه فيظل الضوء مسلطا على الأحداث التي تخدم العبرة التي يريد القاص الوصول إليها والتأثير بها على تشكيل وعي المخاطبين.

وقد جعل شوقي شخصية هذا المتأثر بكلام الثعلب في الظل؛ فلم يذكر له جنسا؛ واكتفى بأنه (رسول) من الثعلب؛ مع تنكيره؛ ليشير إلى ضعف هذه الشخصية ومحدودية وظيفتها، وليبقي الضوء مسلطا على الشخصيتين الرئيسيتين (الثعلب والديك)، فهذه الشخصية ترمز لمن ينخدع بالظاهر ولا يتأمل الإشارات والدلائل وربما جر سوء العاقبة على غيره بسوء تقديره، وكنى عن الثعلب بـــ(إمام الناسكينا) وكأن هذه الصفة ثبتت للثعلب عند هذا الرسول المخدوع حتى صارت وصفا لازما له دالا عليه، ومن ثم صدقه وخدمه، كما أن هذه الكناية تعد عند الراوي والجمهور الخارجي تهكما بالثعلب وبمن يصدقه في ادعائه التقوى والتدين حتى يجعل من نفسه رسولا له يخدم أغراضه، وهي أيضا تشاكل الألفاظ الدينية التي استعملها الثعلب.

ولم يذكر شوقي نص حديث هذه الشخصية مع الديك وإنما اكتفى بالسرد الوصفي للحدث فقال: (عرض الأمر عليه) زيادة في تهميش هذه الشخصية،

فلم يسمعنا صوتها أو حجتها، كما أنه بذلك جعل مهمته منحصرة في عرض الأمر على الديك، وذكر حاله بقوله: (وهو يرجو أن يلينا)، وكأن هذا الرسول يعلم عجزه عما يتجاوز ذلك، فهو لا يتوقع أكثر منه، وبذلك يجعل المخاطبين يدركون مساوئ هذه التبعية التي لا تبنى على علم وفهم.

ثم عرض شوقي جواب الديك بقوله:

فَأَجَابَ الديكُ عُذراً * يا أَضَلَّ المُهتَدينا**
بَلِّغِ الثَعلَبَ عَنّي * عَن جدودي الصالِحينا**
عَن ذَوي التيجانِ مِمَّن * دَخَلَ البَطنَ اللَعينا**
أَنَّهُم قالوا وَخَيرُ الـ * قَولِ قَولُ العارِفينا**
مُخطِئٌ مَن ظَنَّ يَوماً * أَنَّ لِلثَعلَبِ دينا**

فاستخدم الفاء التي للتعقيب، وكأن جواب الديك كان حاضرا، فلم يحتج لوقت للتفكير في الأمر، مما يجعل السامع على وعي بضرورة التيقظ والاستعداد، كما يبرز فطنة الديك وتنبهه للإشارات والدلالات التي ظهرت من خلال كلام الثعلب وتصرفاته، وهو ما يقابل به – اعتباريا – موقف رسول الثعلب المخدوع، فيبرز بعد ما بينهما، ولذا أتى بالمسند إليه (الديك) اسما ظاهرا تسجيلا لعمله وتسليطا لمزيد من الضوء عليه عند سرد رده؛ الذي بدأه بقوله: (عذرا) أي (اعذرني عذرا) فأكد كلامه بالمفعول المطلق المؤكد لعامله؛ الذي حذفه مع معموليه للحفاظ على الصورة الاسمية[1] – وإن

(١) وذلك لأنه حذف من اللفظ الفعل الذي يدل على الحدوث، وأبقى المصدر الذي لا يدل في أصل الوضع على زمن ولا يرتبط بفاعل معين، مما يجعل دلالة هذا التركيب أعم وأدوم من دلالة الجملة الفعلية الصريحة كما أورد الدكتور فاضل السامرائي. ينظر الجملة العربية، تأليفها وأقسامها. ١٦٥ وما بعدها. فاضل صالح السامرائي. دار الفكر ناشرون وموزعون – عمان – الأردن. ط٢. ٢٠٠٧م.

كانت الجملة في أصلها فعلية – ليعرب عن موقفه الحازم الرافض لدعوة الثعلب، ويبدي إصراره عليه بما لا يقبل المجادلة ولا يدع مجالا للمراجعة، وهو ما يكون اتجاها نفسيا مؤيدا لوجوب الحسم في مثل هذه المواقف تجنبا لأخطارها؛ اقتداء بفعل الشخصية التي يتوقع من المخاطب أن يؤيدها.

وأتبع ذلك بالنداء (يا أضل المهتدينا)؛ ليواجه هذا الرسول بكلامه ولومه، ويلفت الانتباه إلى ما يصبه عليه من السخرية والاستهزاء؛ مستعينا بالكناية عن موصوف المشتبكة مع الطباق بين (أضل – مهتدين)، ليجعل هذا الرسول يدرك ما ورط نفسه فيه من الخطأ، فيؤثر عليه وعلى عقول السامعين ويفضهم عنه، فيتخلص من الضغط الجماهيري الذي أراد الثعلب أن يورطه فيه، ويغرس في الوعي أن بين من نظنهم على هدى من يجب النظر في حاله والفحص عن مرجعيته.

وبعد أن أعطى الديك الرسول رده على عرض الثعلب استأنف كلاما جديدا وأرسل للثعلب مع رسوله رسالة رادعة تقطع أمله وأمل أمثاله من الطامعين في خداعه وخداع غيره باسم الدين، مع ملاحظة أن الديك كان أقدر على المواجهة من الثعلب حيث قال: (بلغ الثعلب عني)، بينما قال الثعلب: (اطلبوا الديك ...)، واستخدم أسلوب العنعنة[١] الذي يستخدمه أهل الحديث ليقدم لكلامه بما يشبه إسناد الحديث[٢]، ليقوي كلامه بإعطائه صورة الخبرة المكتسبة بالتجربة والحجة الثابتة المتوارثة عبر الأجيال، فكأنه يؤيده بتأصيل تاريخي مستمد من معارف وتجارب وخبرات سابقة.

---

(١) أسلوب العنعنة في رواية الحديث هو: "رواية المحدث الحديث مستخدما صيغة "عن فلان" من غير بيان التحديث والإخبار والسماع". معجم مصطلحات العلوم الشرعية. ١١٦٣. مجموعة من المؤلفين. مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. الرياض. ط٢. ٢٠١٧م.

(٢) الإسناد في اصطلاح أهل الحديث: "الطريق أو سلسلة الرواة الموصلة إلى نص القرآن الكريم أو متن الحديث الشريف". السابق. ١٧٤.

وفي قوله: (عن ذوي التيجان) استعار التاج لعرف الديك، ومن ثم كنى عن الديوك بذوي التيجان، وسياق العنعنة الذي انتظمت فيه هذه الكناية موهم إرادة أصحاب التيجان من ذوي الملك؛ لما فيه من استخدام أسلوب الترقي من الأدنى إلى الأعلى، فتضافرت هذه التورية مع كل من الاستعارة والكناية لإعطاء ثقل خاص لهذا الإسناد الذي قدم به لذكر رسالته إلى الثعلب التي مثلت خاتمة القصة وخلاصتها.

وكنى عن التهام الثعلب لأسلافه بدخولهم البطن اللعين بقوله: (ممن دخل البطن اللعينا)، وكأنهم دخلوه بأنفسهم طواعية لما انخدعوا بحيل الثعلب قبل ذلك، والبطن هنا مجاز مرسل عن الثعلب تحقيرا له، وكأن الديك حصر ذكره في بطنه ليبرز أن غايته من كل ما يفعله وما يدعيه هو إشباع هذه البطن، ليس شيء غير ذلك، ووصف البطن – الذي هو مجاز عن الثعلب – باللعين فيه نقض لما يدعيه الثعلب من التدين وكشف لحقيقته مؤيد بدليل قوي مستدعَى من الذاكرة يثبت شنيع أفعاله، ويقوي ذلك ما يلحق بالطباق بين (لعين) و(صالحين) الذي وصفت به جدود الديك من ضحايا الثعلب، وهو ملائم لما سارت عليه القصة من استخدام ألفاظ تتصل بالدين.

واعترض بين القول والمقول في قوله: (أنهم قالوا وخير القول قول العارفينا) تنبيها على أهمية المقول وأنه ناتج عن النظر والتفكر، وذلك لأن " المعرفة: إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره"[1]، ومجيء الجملة الاعتراضية بالواو يشير إلى اهتمامه بها وبربطها بالكلام الذي وردت خلاله؛ لكونها دليلا يدعم به كلامه؛ ولما فيها من توجيه غير مباشر للمخاطبين للاستفادة من معارف السابقين المبنية على النظر والتجريب.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. ٤٧/٤. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. تح. محمد علي النجار. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة. ١٩٩٢م.

وقد تآزر أسلوب العنعنة؛ وما تداخل معها من أسلوب الترقي من الأدنى إلى الأعلى؛ مع المجاز بأنواعه؛ والكناية؛ والتورية؛ والجملة الاعتراضية لتمكين مدلول رسالة الديك في العقول وتقوية أثرها في النفوس لتكون أكثر فاعلية في بناء الوعي وتشكيل الاتجاهات لدى المخاطبين.

وفي ذلك كله – خاصة مع طوله – تشويق لمعرفة ما تتمخض عنه كل هذه المقدمة، ليأتي القول الختامي بعد هذا الانتظار (مخطئ من ظن يوما أن للثعلب دينا) فيدخل إلى القلوب ويستقر فيها، فالقاص أراد أن يشكل تيارا معرفيا يقاوم به من يراءي الناس بالدين ويستغلهم باسمه، فذم من ينخدع به، فقدم المسند (مخطئ) ليكون هذا الحكم هو أول ما يلقى السامع من الجملة التي انتظرها وتهيأ قلبه لسماعها، وأيضا ليفيد القصر، حيث قصر من ظن ذلك الظن على أنه مخطئ على سبيل قصر القلب، فالمخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره بخلاف الخاطئ الذي يتعمد الخطأ[١]، لذا أراد أن يقلب اعتقاده عنده وعند السامعين، واستعان بما للتنكير من دلالات متنوعة فنكر (مخطئ) تعظيما لخطأ من يظن ذلك، ونكر (يوما) للإفراد وكأنه ينعي على من ظن ذلك ولو لمدة قصيرة، ونكر (دينا) ليبين أن هذا الحكم يشمل من ظن في المرائين ولو شيئا قليلا من التدين[٢]، ووجه هذا الذم لمن (ظن) فقط ليكون أبلغ في ذم من اعتقد نحو ذلك[٣]، ومجيء الجملة اسمية تفيد الثبوت

(١) ينظر شرح درة الغواص في أوهام الخواص. ٤٢٧. أحمد بن محمد الخفاجي المصري. تح. عبد الحفيظ فرغلي علي قرني. دار الجيل، بيروت – لبنان. ١٩٩٦م.

(٢) على أني قد وقع في نفسي أن تنكير ثلاثة أسماء من أصل خمسة أسماء – ظاهرة – في البيت يعطي شعورا بالجهالة والتعمية يتناسب مع مغزى البيت ومقصده.

(٣) لأن الظن تجويز أحد الأمرين مع ترجيح أحدهما، ينظر الفروق اللغوية. ٩٨. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. تح. محمد إبراهيم سليم. دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر. بدون.

والدوام أعطاها قوة القاعدة الثابتة، وقد مثلت حكمة مستخلصة انتهت إليها القصة وختمت بها على طريقة التحجيل التي يرى حازم القرطاجني أنه يكون فيها "إنجاد للمعاني الأول وإعانة لها على ما يراد من تأثر النفوس لمقتضاها"(١).

فالقصة ترصد خطر الانخداع بالمظهر الزائف الذي يغطي خللا يمس الدين والخلق، وتحذر من العاقبة المهلكة للانسياق في هذا التيار أو التأثر بأصحابه وكلامهم، وفي الوقت نفسه توضح أهمية التيقظ واخذ الحيطة وتبين أن هذا هو سبيل النجاة، وقد استطاع شوقي تقديم هذه المعاني من خلال شخصيات حية متكلمة؛ بشكل قريب من أفهام المخاطبين؛ وبرموز مشهورة مفهومة لهم؛ مما جعل أثر الصورة ومعناها أقرب إلى الحفظ في منظومة الوعي.

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ٣٠٠.

المبحث الثالث

بناء الوعي الاقتصادي من خلال بلاغة الخطاب القصصي

الطفل في بداية حياته لا يعي القيم المالية واستخدامات الأموال بمختلف صورها، ولا يستطيع إدراك القيم المجردة للأرقام؛ أو إدراك المصطلحات المالية كالثمن؛ والعوض؛ والمقابل؛ والمدفوع؛ والادخار؛ والدخل؛ والمصروف؛ والأزمة؛ وما إلى ذلك مما يتعلق باستخدامات الأموال؛ ووجه الاحتياج إليها، كل ما يدركه في مراحل حياته الأولى هو احتياجه للأشياء العينية واستخداماتها أو اقتنائها، أما كيفية الحصول على ذلك؛ وما ينبغي أن يقدم في المقابل من خدمات؛ أو سلع؛ أو أموال؛ فلا يستطيع استيعابه؛ أو تقديره وإعطاءه القيمة الصحيحة، ومن ثم لا يستطيع سلكه في منظومته القيمية، وقد حاول شوقي في قصة **النملة الزاهدة**(١) تقريب بعض هذه المفاهيم من أذهان الصغار لتكون بداية لتوعيتهم اقتصاديا بما ينفعهم في مستقبلهم، وفيها يقول:

سَعــيُ الفَتى في عَيشِهِ عِبــادَه * وَقائِدٌ يَــهــديهِ لِلسَــعادَه**(٢)
لِأَنَّ بِــالسَعــيِ يَقومُ الكَــــونُ * وَاللَهُ لِلســاعينَ نِعمَ العَــونُ**
فَــإِن تَــشَأ فَـــهَذِهِ حِـــكايَه * تُعَــدُّ في هَذا المــَقــامِ غايَه**
كــانَــت بِأَرضٍ نَملَةٌ تَنـــبالَه * لَــم تَسلُ يَوماً لَذَّةَ البَطــالَه**
وَاشتَهَرَت في النَملِ بِالتَقَشُّــفِ * وَاتَّصَفَت بِالزُهــدِ وَالتَصَوُّفِ**
لَــكِن يَقومُ اللَيــلَ مَن يَقتــاتُ * فــالبَــطــنُ لا تَملُؤهُ الصَلاةُ**

---

(١) الشوقيات. ٨٩٥.

(٢) وردت التاء المربوطة في عدة قواف في القصيدة فكتبت في الديوان هاء تنبيها على نطقها ساكنة، فالتزمت برسم الديوان عند النقل.

وَالنَــمــلُ لا يَسعى إِلَيهِ الحَبُّ *** وَنَملَتي شَقَّ عَــلَيــها الدَأبُ
فَخَرَجَــت إِلى اِلتِماسِ القــوتِ *** وَجَعَــلت تَطوفُ بِــالبُيــوتِ
تَقــولُ هَــل مِن نَملَةٍ تَقِــيَّــه *** تُنــعِمُ بِالقوتِ لِــذي الوَلِيَّــه
لَقَــد عَييــتُ بِالطَــوى المُبَرِّحِ *** وَمُــنــذُ لَيــلَتَينِ لَم أَسَبِّــحِ
فَصــاحَتِ الجــاراتُ يا لَلعــارِ *** لَم تتركِ النَمــلَةُ لِلصِرصــارِ
مَتى رَضينا مِثلَ هَــذي الحــالِ *** مَتى مَــدَدنا الكَفَّ لِلسُــؤالِ
وَنَحــنُ فــي عَينِ الوُجودِ أُمَّه *** ذاتُ اِشتِــهارٍ بِعُلُــوِّ الهِمَّــه
نَحمِــلُ مــا لا يَصبِرُ الجِمــالُ *** عَــن بَعــضِهِ لَو أَنَّها نــمالُ
أَلَم يَقُــل مَن قَــولُهُ الصَــوابُ *** ما عِنــدَنا لِســائِــلٍ جَــوابُ
فَامضي فَإِنّا يا عَجوزَ الشــومِ *** نَرى كَمالَ الزُهدِ أَن تَصومي

استهل شوقي قصته بتمهيد امتد لثلاثة أبيات بدأها بإرساء قيمة السعي في النفوس من خلال جملة اسمية وظف دلالتها على الدوام والاستمرار ليجعل الحكم الذي تضمنته كأنه قاعدة ثابتة لا تتغير فقال:

سَعــيُ الفَتى في عَيشِــهِ عِبادَه *** وَقــائِــدٌ يَــهديهِ لِلسَــعادَه

وأضاف (سعي) إلى (الفتى) لخصوصية هذه المرحلة العمرية وما يتوافر فيها من ماء الفتوة وقوتها مما يعين على السعي، وقيده بقوله: (في عيشه) ليدل على الجانب الصالح للسعي من ناحية؛ وليشير إلى المنفعة القريبة له من ناحية أخرى، حيث استعان بالمجاز المرسل لعلاقة المسببية؛ وكأن السعي يتجاوز الوسائل والأسباب ويتصل مباشرة بنتائجها من الحياة والبقاء؛ لأن المقصود سعيه في اكتساب ما يكون به العيش والحياة، وقد جمع في الإخبار عن هذا السعي بين كونه (عبادة) و(قائد) مع تنكيرهما للتعظيم، فلمح

بـــ(عبادة) لقول النبي ﷺ: (وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله)[١]، فالسعي على النفس من مراتب الجهاد، فهو إذن عبادة عظيمة، وشبه السعي بـــ(قائد)، وحذف الوجه والأداة مبالغة، وقيده بالوصف (يهديه للسعادة)؛ فاستخدم المضارع ليفيد تجدد ذلك؛ وعرف السعادة بـــ(ال) الحقيقة، فمثل للأذهان السعي وقد أخذ بقياد صاحبه يرشده حتى يصل إلى سعادته المنشودة، فأرسى بذلك في النفوس قيمة السعي وعظيم نفعه في الدين والدنيا.

وأيد دعواه هذه بالتعليل لها في قوله: (لأن بالسعي يقوم الكون) وقد جمع في هذه الجملة بين التأكيد بـــ(أن)، وتفخيم معناه بضمير الشأن المقد[٢]، والمبالغة بالقصر الادعائي من خلال تقديم الجار والمجرور (بالسعي) على عامله (يقوم)، وعطف عليها جملة (والله للساعين نعم العون) فدخلت معها في حيز التعليل، وهي أيضا مؤكدة باسمية الجملة، وفيها قصر ادعائي بتقديم

---

(١) هذا جزء من حديث شريف هو: (عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبي – صلى الله عليه وسلم – رجل، فرأى أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله! لو كان هذا في سبيل الله! فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان".). صحيح الترغيب والترهيب. ٤٢٤/٢. كتاب النكاح وما يتعلق به – الترغيب في النفقة على الزوجة والعيال، والترهيب من إضاعتهم، وما جاء في النفقة على البنات وتأديبهن. لمحمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض. ط١. ٢٠٠٠م.

(٢) في تقدير اسم (أن) المثقلة ضمير شأن محذوف في مثل هذه الحالة آراء، فمن النحاة من أجازه مطلقا، ومنهم من منعه إلا للضرورة، ومنهم من ذهب إلى أنه يحسن في الشعر ويقبح في النثر، ينظر ارتشاف الضرب من لسان العرب. ٢٤٥/٣ وما بعدها. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. تح. رجب عثمان محمد. مر. رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي بالقاهرة .ط١. ١٩٩٨م.

الجار والمجرور (للساعين) على عامله (نعم العون)[1]، وفي البيتين معا لف ونشر، فقوله: (لأن بالسعي...) تعليل لكون السعي عبادة، وقوله: (والله للساعين نعم العون) تعليل لكون السعي قائد يهدي للسعادة، فمن ذا الذي ينال عون الله ولا يكون في أسعد حال؟!، هذا مع حسن الوقع بالجناس مع رد العجز على الصدر في (الكون – العون)، فجمع بذلك بين مؤثرات عدة عقدية، ونفسية، وعقلية، وسمعية للتأثير على المخاطب واستمالته، وتكوين خلفية إدراكية تؤسس للفكرة والقيمة التي يرمي إلى توعيته بها، ثم عطف على جملة المبتدأ (سعي الفتى...) وتعليلها؛ قوله:

فَـإِن تَـشَـأ فَـهَـذِهِ حِـكايَه * تُـعَـدُّ فـي هَذا المَقامِ غايَه**

بالفاء التي أفادت الترتيب، وكأنما استدعت هذه القاعدة في مخيلته تلك الحكاية لشدة ارتباطهما عنده، فعرض على السامع حكايتها له بأسلوب تشويقي، حيث استخدم أسلوب الشرط فجعل عرض الحكاية مرهونا بمشيئة المخاطب ليحرك فيه الدافع الداخلي، واستعان بالبيان بعد الإبهام من خلال حذف مفعول المشيئة الذي دل عليه جواب الشرط، لـ(أن المشيئة يلزم من وجودها وجود المشاء، وإذا كان كذلك فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة الجواب)[2]، فالحذف في هذا الأسلوب يحرك

---

(١) اختلف العلماء في وقوع الجملة الإنشائية خبرا، لأن الخبر حكم على المبتدأ، فمنهم من منع وقوعها خبرا سواء أكانت طلبية أو غير طلبية، ومنهم من منع وقوعها خبرا إذا كانت طلبية فقط، ومنهم من رأى جواز وقوع الإنشائية خبرا بالنظر لوقوعها موقع المفرد. ينظر الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم. ٣٤٤/١. إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي. تح. عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. بدون.

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي. تح. عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بيروت – لبنان. ط١. ٢٠٠٣م.

النفوس لمعرفة المحذوف؛ فإذا جاء الجواب علم ذلك المحذوف؛ فارتفع الإبهام وظهر المقصود، هذا إلى جانب تهيئته السامع للانتقال إلى حالة الحكي بجملة جواب الشرط (فهذه حكاية تعد في هذا المقام غاية) وما تحمله من شحنة تشويقية، إذ عمد إلى تفخيم شأن قصته وتعظيم أمرها لدى السامع من خلال الجمع بين عدة أساليب تضافرت مع بعضها للوصول إلى هذا الغرض، حيث استخدم اسم الإشارة (هذه ، هذا) مع تنكير (حكاية، غاية) ووصف حكاية بـــ(تعد في هذا المقام غاية)، فهذا كله يجعل المخاطب مقبلا على هذه القصة بجوارحه وقلبه معا، مما يمكن القاص من التأثير على تشكيل قيمه ووعيه.

ثم راح يرسم ملامح الشخصية الرئيسة في القصة، فقال عنها:

كـــانَـــت بِأَرضٍ نَملَةٌ تَنـــبـــالـه * لَم تَسلُ يَـــوماً لَـــذَّةَ البَطالـه**

وَاشتَهَرَت في النَملِ بِالتَقَشُّـــفِ * وَاتَّصَفَت بِالزُهـــدِ وَالتَصَوُّفِ**

فأعطى انطباعا بتحقيرها والتقليل من شأنها من بداية القصة من خلال تنكير (نملة) ووصفها بأنها (تنبالة)، ثم ذكر أنها (لم تسل يوما لذة البطالة)، ونكر (يوما) في سياق النفي ليفيد استغراقها العمر كله وهي على هذه الحالة من التلذذ بالتبطل دون سلو أو انصراف عنه، فأبرز بذلك الجانب الداخلي الحقيقي للشخصية، وبذلك صار هو الأصل في إدراك المخاطب وتوجيه وعيه بالمشكلة بعد ذلك، ثم عرض جانب شخصية النملة الخارجي المزيف – الذي تخدع به نفسها وغيرها – من خلال خبرين آخرين هما: (واشتهرت في النمل بالتقشف) و (واتصفت بالزهد والتصوف)، وجعل اشتهارها بذلك شائعا بين بني جنسها كلهم باستخدام (ال) التي لاستغراق الجنس في (النمل)، ووظف ما يلحق بالطباق بين (لذة) وما يستلزمه التقشف من عدم التلذذ فأظهر بذلك التناقض بين كوامن نفس الشخصية ومظهرها الخارجي؛ الذي سلط عليه مزيدا من الضوء فتحدث عنه في جملتين ليعطيه مساحة أكبر، واستعان

بتكرار النغمة الصوتية بالجناس في أصل الاشتقاق ورد العجز على الصدر في (اتصفت – تصوف)، وأيد ذلك كله بمراعاة النظير بالجمع بين (التقشف – الزهد – التصوف) والتدرج والترقي بينها، ثم راح يرسم عقدة القصة ومشكلتها فقال:

لَـكِـن يَقـومُ اللَيلَ مَن يَقتاتُ * فـالبَـطـنُ لا تَملُؤهُ الصلاةُ**

وَالنَـمـلُ لا يَسعى إِلَيهِ الحَبُّ * وَنَملَتي شَـقَّ عَـلَيها الدَأبُ**

فوضع عدة جمل تشكل مقدمات ليصل منها إلى نتيجة ترك فهمها واستنباطها لعقل السامع؛ ليجعلها نابعة من داخله، فاستخدم في جملته الأولى المضارع (يقوم – يقتات) ليصور تجدد القيام مع تجدد الاقتيات، وذكر علة ذلك بقوله: (فالبطن لا تملؤه الصلاة)، فأتى بفاء التعليل ليشير إلى أنها علة بدهية، وبذلك يوبخ من تجاهل هذه الحقيقة وعمل بخلافها(١)، ثم ذكر حقيقة عامة مسلمة أخرى بقوله: (والنمل لا يسعى إليه الحب)، وأتبعها بذكر الحالة الخاصة التي يتحدث عنها بقوله: (ونملتي شق عليها الدأب)، فشوقي يشكل بذلك مفارقة تدعو المخاطب للتفكير في مآل هذه النملة وعاقبة أمرها، فمن خلال تعريف (النمل) في الشطر الأول بـــ(ال) التي لاستغراق الجنس دخلت هذه النملة في حكم عدم سعي الحب إليها، مما يستلزم منها أن تسعى هي إليه، لكن شوقي يعود فيعرف هذه النملة بالإضافة إلى نفسه (نملتي)؛ ويسند إليها ما ينافي لازم القاعدة التي ذكرها في الشطر الأول، وهو بهذه الإضافة يقوي الشعور باختلافها عن بني جنسها من ناحية، ويقترب من شخوص القصة حتى يكاد أن يتماس معها من ناحية أخرى، وهو ما يشبه الاقتراب بعدسة التصوير لتركيز الضوء على هذه الفكرة تحديدا لأنها مشكلة القصة.

---

(١) يرى د.محمد أمين الخضري أن التوبيخ بهذا الأسلوب يكون أشد لذعا وأكثر إيجاعا، ينظر من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء، ثم". ١١٤ .

من هذه المقدمات يمكن للسامع استنتاج أن النملة نفد من عندها القوت، فلم تستطع أن تتعبد، واضطرت لبذل الجهد وطلب القوت، وقد طوى شوقي ذكر تلك الأحداث تاركا لعقل المخاطب إدراك هذه الفجوة السردية وملأها بخياله الذاتي ليستشعر ما مرت به هذه النملة، ودل على ذلك بالفاء الفصيحة وانتقل مباشرة إلى الحدث الأهم بقوله:

فَخَرَجَــت إِلى اِلتِماسِ القــوتِ * وَجَعَــلَــت تَطوفُ بِــالبُيوتِ**

تَقــولُ هَــل مِــن نَملَةٍ تَقِــيَّه * تُنــعِــمُ بِالقــوتِ لِذي الوَلِيه**

لَقَــد عَيِيــتُ بِالطَــوى المُبَرِّحِ * وَمُــنذُ لَيــلَتَينِ لَــم أَسَبِّــحِ**

فخروجها كان لغاية هي (التماس القوت)، وفي استخدامه هذه الكلمة ما يشعر بشدة حاجتها إذ خرجت تتلمس أي شيء تقتاته وتتبلغ به، ولم تعد في بحبوحة تسمح لها بالبحث والاختيار، غير أن ذلك أيضا لم يكن ميسورا، وإنما احتاج لجهد حيث (جعلت تطوف بالبيوت)، فكنى بذلك عن بذلها للجهد – وهو ما كانت تتجنبه سابقا بترك السعي – وبذلها ماء وجهها أيضا، ورسم حالها وما اعتراها من ذل السؤال الصريح، فأسمعنا كلامها وسؤالها وتوجعها من خلال الجملة الحالية: (تقول هل من نملة تقية...)، فـــ(من) الزائدة التي دخلت على المبتدأ أفادت التنصيص على عموم سؤالها لكل النمل؛ بحيث صارت وكأنها تنادي به بين سائر النمل، وقد رغَّبت في مد يد العون لها من خلال تنكير (نملة) للتعظيم، ونعتها بـــ(تقية) على سبيل التمدح، واستخدام الاسم الظاهر(ذي الولية) بدلا من ضمير التكلم في التعبير عن نفسها لاستدرار العاطفة الدينية واستغلالها للوصول إلى هدفها، وفيه أيضا ما يشعر برفضها هي نفسها لحالها واستنكافها من إيقاع طلب الإنعام على ذاتها مباشرة واستتارها بغطاء الولاية المزعومة حفظا لماء وجهها، ثم كأن وطأة الجوع والحاجة قد زادت عن احتمالها وطاقتها؛ فالتفتت من الغيبة للتكلم؛ وانطلقت

تشكو حاجتها وتبث جاراتها آلامها وتعرب عما أصابها من تعب وإعياء بقولها: (لقد عييت) وذكرت سبب ذلك (بالطوى المبرح) وما ترتب عليه من نتائج (منذ ليلتين لم أسبح)، وأكدت كلامها بـــ(اللام) و(قد) وكأن ما تعانيه من ألم نفسي وبدني قد استحوذ على عقلها ومشاعرها بالكلية؛ فأرادت نقل ذلك للسامعين وتمكينه في قلوبهم كما تمكن منها، ولذا عبرت بـــ(عييت) عن استفراغ طاقتها وعجزها عن الاحتمال، وعبرت بـــ(الطوى) بدلا من الجوع لأن الطوى أشد من الجوع لما فيه من الوصول إلى حد الضمور، وصورت ما تعانيه من آلامه فوصفته بأنه مبرح زيادة في الاستجداء، ثم ذكرت انقطاعها عن العبادة نتيجة لذلك حتى أنها لم تستطع التسبيح، كناية عن شدة ضعفها، ومبالغة في هز مشاعر السامعين واستدرار عطفهم، لكن ذلك لم يحدث بل جلب عليها الغضب والنقمة، يقول شوقي:

فصـــاحَتِ الجاراتُ يا لَلعـــارِ * لـــمَ تتركِ النَمـــلَةُ لِلصِرصارِ**

مَتى رَضينا مِثلَ هَذي الحالِ * مَتى مَـــدَدنا الكَفَّ لِلسُـــؤالِ**

ونَحنُ في عَيـــنِ الوُجودِ أُمَّه * ذاتُ اِشتِـــهارٍ بِعُلُـــوِّ الهِمَّـــه**

نَحمِلُ ما لا يَصبِـــرُ الجِمـــالُ * عَـــن بَعـــضِهِ لَو أَنَّها نـــمالُ**

أَلَـــم يَقُل مَن قَولُهُ الصَـــوابُ * مـــا عِنـــدَنا لِســـائِلٍ جَـــوابُ**

فَامضي فَإِنّا يا عَجوزَ الشومِ * نَرى كَمالَ الزُهدِ أَن تَصومي**

حيث قوبل طلبها بالصياح والزجر والتوبيخ والتهكم بدلا من العطاء والإنعام، وذلك من (الجارات) بالجمع، مما يعكس شدة انزعاج النمل كله من حالها، وهو ما يغرس في وعي الطفل شناعة وفظاعة هذا الأمر، ثم راح يسرد رد الجارات الذي امتد لستة أبيات وشكل نهاية الأحداث.

بدأت الجارات حديثها بأسلوب الاستغاثة (يا للعار) ورواية الديوان بفتح اللام، أي أنها جعلت العار مستغاثا به مجازا، وكأنها تقول: يا عار احضر

فهذا أوانك[1]، وذلك لأنها رأت في قبيح فعل النملة ما لا يصح أن ينسب إلى جنسهن كله حتى لقد قارنتها بالصرصار في قولها: (لم تترك النملة للصرصار)، على بعد ما بين النملة بما تحمله من رمزية لمعان محبوبة سامية كالاجتهاد، والنظافة، والنظام، وبين ما يحمله الصرصار من رمزية لمعان مذمومة كالفوضى والقذارة وغيرها، ففي ذلك تشنيع عليها وتحقير لفعلها، وفي حذف مفعول (تترك) ما يصور غصتهن بهذا الأمر حتى لم يستطعن إكمال الجملة، أو هو للتعميم على سبيل الذم والتشنيع؛ وكأنها بفعلها ذلك لم تترك شيئا من مساوئ الصرصار إلا وفعلته.

ثم تبع ذلك استفهامان يحركان المخاطب لتأمل هذه الحال والتفكر فيها بغرض الإنكار والتوبيخ حيث قالت: (متى رضينا مثل هذي الحال؟ متى مددنا الكف للسؤال؟)، فالسؤال عن الزمن على هذا النحو يجعل العقول تراجع تاريخ هذه الأمة، فإذا لم تجد فيها مثل هذا الفعل على اختلاف عصورها تحقق لديها إنكار نسبته إليها، فتظهر هذه النملة وكأنها قد ابتدعت ذلك ابتداعا، فيتبين قبح انفرادها بإتيان هذا الفعل، وقد ساعد في إبراز هذا المعنى استخدام اسم الإشارة (هذي) للتحقير، وتصوير السؤال والاستجداء بحركة مد الكف مما يشعر بالإهانة والمذلة تنفيرا من هذه الحال.

كل ذلك يشكل مقابلة اعتبارية مع ما ستذكره بعد ذلك من مفاخر أمة النمل التي بدأتها بقولها: (ونحن في عين الوجود أمة ذات اشتهار بعلو الهمة)

---

(١) لام الاستغاثة تكون مفتوحة مع المستغاث به ومكسورة مع المستغاث له، فإذا جاء أسلوب استغاثة ووقع بعد(يا) اسم مجرور باللام، لا ينادى إلا مجازا؛ -لأنه لا يعقل- وليس بعده ما يصلح أن يكون مستغاثا، جاز فتح اللام وكسرها، فالفتح على اعتبار الاسم مستغاثا به مجازا، والكسر على اعتبار الاسم مستغاثا له. والمستغاث محذوف. فكأنك دعوت غيره تنبهه على هذا الشيء، ينظر النحو الوافي. ٧٧/٤ وما بعدها. عباس حسن. دار المعارف. ط١٥. بدون.

فاستأنفت كلاما جديدا تعدد فيه مآثر أمتها، وجاءت بالواو الاستئنافية لما فيها من معنى الربط[١]، وكأنها تجمع صورة ما أنكرته مع صورة ما أقرته في ذهن المخاطب ليدرك الفروق واضحة، فتقيم حجتها بينة، وتقرها في الوعي والوجدان، ونكرت (أمة) ووصفتها بـــ(ذات اشتهار بعلو الهمة) تعظيما، ثم أوضحت ما أبهم في هذا الوصف بقولها: (نحمل ما لا يصبر الجمال عن بعضه لو أنها نمال) فمع هذه المقارنة المستندة على حقيقة علمية[٢] بين النمل والجمال؛ نجد أيضا مقارنة صوتية بالجناس ورد العجز على الصدر في (جمال – نمال)، وذلك مع المعروف عن قوة صبر واحتمال الجمال مما يقر في العقول تفوق النمل عليهم.

فلما أقامت الجارات حجتها على تلك النملة الخارجة عن ناموس جماعتها انتقلت إلى بيان ما رأته من عقوبتها؛ فأبرزته في معرض السخرية والتهكم، فعرضت برفض طلبها أولا قائلة: (ألم يقل من قوله الصواب ما عندنا لسائل جواب؟[٣]) وكأنها تريد أن تثبت كلامها وتؤيده بنسبته إلى من يوثق بقوله، وبذلك تمهد لما ستأمرها به في قولها: (فامضي)، فاستخدمت الفاء التي تفيد الترتيب، وأمرتها بالمضي على سبيل الزجر والتوبيخ، وذكرت الحكم بحرمانها من العطاء عن طريق الكناية بقولها: (فإنا نرى كمال الزهد أن تصومي) فاستعارت الصوم للحرمان من الطعام لتشاكل ما كانت تدعيه النملة

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن. ٣٧٣/٤. بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي. دار المعرفة. ط١. ١٩٩٠م.

(٢) معروف من قديم أن النمل يحمل أضعاف أضعاف وزنه وأن هذا ليس لغيره من المخلوقات. ينظر حياة الحيوان الكبرى. ١٠٧/٤. كمال الدين محمد بن موسى الدميري. تح. إبراهيم صالح. دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق. ط١. ٢٠٠٥م.

(٣) صياغة البيت توحي بأن هذا الكلام مقتبس بنصه، لكنني لم أعثر عليه.

من الزهد والتصوف تهكما بها وسخرية من حالها، وأكدت قولها لبيان أن ذلك حكم لا رجعة عنه وأمر لا تهاون فيه، وزادتها إهانة بالاعتراض بجملة النداء (يا عجوز الشوم)، حيث نادتها بالعجز وأضافتها إلى الشؤم إثباتا لشدة الملابسة بينها وبينه لسوء ما جاءت به.

والنهاية وإن كانت تحمل بعض القسوة إلا أن ذلك يعد حسنا، ليكون له وقع قوي في نفوس النشء، فينفرون من فكرة التسول، ويتمكن في قلوبهم مفاهيم مهمة كالسعي، والاكتساب، والاعتماد على الذات، والقيم المادية للأشياء، والفرق بين مال الفرد ومال الجماعة، وما إلى ذلك مما يترتب عليه تأسيس الوعي الاقتصادي عند الطفل بشكل مبسط.

والأساليب التي تحدثت بها النملات وانتقدت بها النملة الكسولة انصبت بشكل أساسي على نبذ التسول واعتباره عارا ولذا كانت هذه القصة في باب الوعي الاقتصادي أولى وإن كان شوقي قد جعل غاية السعي أسمى من ذلك وأشار لهذا في بداية القصة.

الخاتمة

هذا، وقد خلصت هذه الدراسة إلى نتائج كان من أهمها:

- حافظ شوقي على فصاحة عبارته؛ وقوة تأثيرها؛ ودقة دلالتها على المعنى؛ دون أن يبتعد بها كثيرا عن اللغة المستعملة التي يمكن أن يفهمها الأطفال في مرحلتي الطفولة المتوسطة والطفولة المتأخرة؛ ممن يمكنهم قراءة الشعر وفهم القصة بشكل عام.
- قدم شوقي مزيدا من الثروة اللغوية للأطفال من خلال دمج بعض الألفاظ غير الشائعة في معجمهم في سياق القص بحيث يظهر معناها بوضوح يساعد المخاطب على إدراجه في تكوينه المعرفي.
- كان للتقديم دوره في تحفيز إدراك أهمية المقدم والوعي بها.
- ساعد الحذف على تنشيط المشاركة الإيجابية من المخاطب في إنتاج وفهم المقصود.
- حرص شوقي على الترابط والتسلسل المنطقي بين أجزاء القصة ووظف ما بينها من علاقات لتقوية المعنى في النفوس.
- عمل الاستئناف في كثير من الأحيان على كشف بواطن الشخصية ودوافعها مما دعم البعد النفسي في إدراك المعنى.
- كان لحبك الصورة الكلية في قصص شوقي للأطفال أثره في الاستبصار بعناصر الفكرة والعلاقات بينها، وفهم أبعاد المشكلة التي تعالجها واستنباط الحلول المناسبة لها.
- أعانت الصور البيانية المخاطب على تصور المعاني المجردة ماثلة أمامه؛ حية؛ متحركة؛ متكلمة، وسلطت الضوء على العلاقات التي قامت – الصور البيانية – على أساسها، كما ساعدت على تنشيط الأذهان للقيام بعمليات عقلية معرفية كالتذكر والتحليل والمقارنة والربط والفهم والتفكير،

وساعدت على ربط الصفات الجيدة بمشاعر وانفعالات إيجابية بعكس الصفات السيئة التي نفرت منها وكونت اتجاها عاطفيا سلبيا تجاهها.

- لم يواجه شوقي المخاطبين بالتوجيه المباشر غالبا، وإنما استعمل الإيحاء والتلميح والرمز، لإقناعهم بمقصوده، فقد استغل الرموز المشهورة في تشكيل صوره الكلية من خلال تركيب الرموز مع بعضها دون أن يتورط في غموض أو إلباس، مما أسهم في تشكيل وعي الأطفال والمخاطبين من خلال تنشيط ملكات التحليل والتفسير وتنظيم المعلومات وتفعيل مهارات الاستنتاج والاستنباط.
- لم يقف شوقي عند نقل الفكرة شعرا، ولم يكتف بصياغتها قصصيا، بل مزج بين الشعر والقصة ليكسب تأثير كل ويدعم فكرته بمزايا الفنين معا، بأسلوب سهل قريب من الأفهام؛ وبأفكار واضحة ليست مباشرة بالكلية مما يساعد على المشاركة الإيجابية بين القاص والمخاطب.
- صياغة القصص شعرا ساعدت على الاستفادة بما في الشعر من إيقاع وموسيقى لتيسير الحفظ والتأثير في النفوس واستمالتها؛ مما جعل أثرها يستمر في الوعي والوجدان.
- كان من أبرز فنون البديع التي ظهر دورها أثناء الدراسة الجناس ورد العجز على الصدر؛ حيث لفتت الانتباه إلى ما بين الألفاظ من علاقات تفيد في كشف المعنى والوصول للهدف.
- استخدم شوقي أسلوب التحجيل في نهايات بعض قصصه ليبرز خلاصة الفكرة ويجمع حولها العقول والقلوب.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا:

١- أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، ١٩٩١م.

٢- أدب الأطفال فلسفته، وفنونه، ووسائطه، هادي نعمان الهيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٣- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٤- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، مصر، ١٩٩٧م.

٥- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، تحقيق وتعليق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون.

٦- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، دار المعرفة، ١٩٩٠م.

٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق. محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م.

٨- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٩- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٠- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق – سورية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١١- التفاعل بين المكونات العاملية للوعي وعلاقتها بالذكاء وبعض العمليات المعرفية، محمد السيد إبراهيم منصور، إشراف. عبد السلام أحمدي الشيخ، دكتوراه، جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم علم النفس، ٢٠٠١م.

١٢- الجملة العربية، تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان – الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

١٣- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

١٤- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق. الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٥- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.

١٦- شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله جمال الدين، تحقيق: عبد الرحمن السيد – محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

١٧- شرح درة الغواص في أوهام الخواص، أحمد بن محمد الخفاجي المصري، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٩٩٦م.

١٨- الشوقيات، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي، القاهرة – مصر، بدون.

١٩- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٢٠- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م.

٢١- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، دار عطاءات العلم- الرياض، الطبعة الخامسة، ٢٠١٩ م.

٢٢- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي أبو حامد بهاء الدين السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٢٣- علم النفس المعرفي بين النظرية والتطبيق، عدنان يوسف العتوم، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثالثة، بدون.

٢٤- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، بدون.

٢٥- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، راجعه أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢٦- لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

٢٧- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.

٢٨- المصباح في شرح المفتاح، السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: فريد بدوي النكلاوي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٩٧٧م.

٢٩- المطول في شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني وبهامشه حاشية المير سيد شريف، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠١٣م.

٣٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣١- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٣٢- معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مجموعة من المؤلفين، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م.

٣٣- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

٣٤- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم – دمشق ، الدار الشامية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٥- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٣٦- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء ، ثم"، محمد أمين الخضري، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٣٧- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد بن الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.

٣٨- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة. بدون.

٣٩- النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته، سعد أبو الرضا، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٤٠- النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)] – دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

٤١- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر. بدون.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	تمهيد: بناء الوعي من خلال قصص الأطفال
٣	المبحث الأول: بناء الوعي السياسي من خلال بلاغة الخطاب القصصي
٤	المبحث الثاني: بناء الوعي الديني والخلقي من خلال بلاغة الخطاب القصصي
٥	المبحث الثالث: بناء الوعي الاقتصادي من خلال بلاغة الخطاب القصصي
٦	الخاتمة
٧	ثبت المصادر والمراجع
٨	فهرس الموضوعات